خطأ أهل السنة

في فهم حتمية وجود وظهور
الطائفة المنصورة الدائم بالأسنة

لأبي عبدالله

الحسين بن موسى اللحيدي

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين ، نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه الطيبين الصادقين ، وبعد .

ما أصاب الغرور في الدين أحد مثل ما أصاب من يسمون أنفسهم بأهل السنة ، وما خدع أحد مثل ما خدع هؤلاء في قوة ظنهم أنهم على الحق في مجمل الدين وتفاصيله ، وأعني بأهل السنة من مازالوا يحبون أن يلقبوا بـ (أهل السنة) أو (أهل الحديث) أو (أهل السنة والجماعة) ، وهذه المعاني مع أنها في أصلها صحيحة المدلول ، إلا أنها وظفت توظيفا خاطئا مغالطا حتى خرج عن جادة الحق والصواب وتحصلت في النهاية منه مغالطات عظيمة ، مازالت آثارها الوخيمة تجر أذيالها في ذاكرة الأمة ومخيلة الكثير من أبنائها .

وما زال آخرهم بغرور مستديم التوهم بصدق وجود وتحقق هذه المعاني الجميلة في حياتهم الدينية ! ، والحق أن السنة أميتت ، والجماعة انقرضت ، أما أهل الحديث فطواهم الفناء من قرون بعيدة ، ورغم هذا ما زالت تنادي في أذيال الخيبة هنا وهناك أفواه كاذبة أن لهذه المعاني حقيقة موجودة ! .

من يصدُق مع هؤلاء ويصرخ فيهم صرخة الإيقاظ ، ويهزهم من مرقدهم هزة الفزعان ، أن تداركوا أنفسكم : إنكم في سكرتكم تعمهون .

أنظروا معي لواحدة فقط ! ، فالمقام لا يتسع لجردها وسردها في مكان واحد ، وإنما يكفينا في هذه العجالة أن نقف مع واحدة منها ما زالت منطلية على هؤلاء قديما وحديثا ، ومن كل عقولهم تجدهم يصدقون بحتمية وجودها وبقائها ما بقت الدنيا من زمن الرسول ﷺ إلى آخر فرد ينطوي تحت راية المهدي ومن ثم المسيح عليه السلام ، وأن كل هؤلاء داخلون في الطائفة المنصورة ، وهل جُرَ البلاء على آخر هؤلاء إلا بسبب هذا الوهم في اعتقاد حتمية وجود الطائفة المنصورة ، وأظهر من كرس سوء هذا المعتقد في زماننا ابن لادن ومن معه لاعتقادهم الجازم أنهم هم الطائفة المنصورة الظاهرة على عدوها لا محالة ، حتى قال خطيبهم على شاشة قناة الجزيرة : إن لم ينصرنا الله فمن ينصر ؟! .

وهل تحسبون هذا هو حد هذه الخديعة الكبرى ؟! ، أبدا ما زالت من قديم وهي بعينها التي ألجأت ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى للخبط عشواء في مسألة النزاع الذي جرى ما بين علي رضي الله عنه وبين معاوية بن أبي سفيان الأموي ، حتى ارتج عليه وصرح من غير مواربة أنها طائفة معاوية ومن معه !! ، وما ذلك إلا لوهمهم الكبير في حتمية بقاء الطائفة المنصورة ودوام وجودها إلى قيام الساعة .

وقد آن الأوان للرد على هذه الفرية الكبرى وإبطالها ، وهي من جملة فرى كثيرة منها ما قلت سابقا ، ظنهم وجود أهل الحديث والفرقة الناجية ! ، وكذلك الجماعة !! .

وما يعنيني هنا على الخصوص اعتقادهم دوام وجود الطائفة المنصورة ، فأقول :

قال إبراهيم الحربي رحمه الله تعالى في كتابه القيم غريب الحديث في شرح حديث ثوبان عن النبي ﷺ وفيه : (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله) . الظهور ، الظفر على العدوِّ ، وأظهرنا الله عليه . ونقل عن أبي زيد قوله : جاءَ فلان في ظِهْرِيِّهِ ، هم الذين ينهضُ بهم فيما يحزبُهُ . وعن الفراء قوله : الظهير الأعوان.

كما نقل عن الأصمعي : ظاهر فلان فلانا إذا مالأه وأعانه ، والظهير : العون اهـ (الغريب 3/973) .

وهكذا لم يفهم من تقدم معنى الظهور في الحديث إلا على هذا المعنى ، وإنما وقع التأويل والتحريف للمعنى الصريح المراد من الظهور هنا في المتأخرين ، فلم يشترطوا لذلك وجود الطائفة الواحدة ، بل غلا بعضهم بالتأويل وأنزل المعنى على الفرد وجوز تفرقهم في الأنحاء والأزمان ، وكل ذلك من التأويل الفاسد والتحريف للمعنى المراد من صريح اللفظة على لغة العرب في ذلك .

وزاد المتأخرون على هذا فلم يشترطوا أن يكون الظهور بالسنان ! ، وألجأهم مخالفة واقع الحال لعدم هذا الشرط على التقييد ، لما رأوا من أحوال بعض من ظنوهم من الطائفة ولم يكونوا ظاهرين !! ، إلا أنهم اتفقوا وهنا البلاء ، على منع عدم الشرط للظهور على العموم ما لزم منه القول المنكر العظيم الذي صرح به ابن تيمية رحمه الله تعالى وعدَّ خلافه ناقض لأصل من أصول الإسلام

مع أنه واقع الحال !! ، فكان التناقض والدليل الصارخ على تيه أفهامهم في إدراك المعنى المراد بالطائفة وظهورها وبقائها من عدمه .

الفصل الأول

من تخريجات ابن تيمية الباطلة على أصل قوله في تعيين الطائفة المنصورة

قوله رحمه الله تعالى في الجواب الصحيح : لو كان النصارى متبعين المسيح والمسلمون كفارا به ، لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين .. اهـ .
(506/3)

وهذا الواجب لا يشك بتحققه اليوم عاقل مدرك ، وهل واقع الأمة المعاصر المخزي لقضها وقضيضها إلا تكريسا لما نفاه ابن تيمية وادعى لازمه ما افترض من باطل ! ، وما افترض ذلك إلا لإستحالة حصول ذلك عنده ، والذي جره لهذا فهمه الخطأ لمعنى خبر الطائفة المنصورة والقول في تعيينها ، وإخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام بظهورها وعدم تضررها بخذلان الخاذل ولا مخالفة المخالف ، وضمان الله تعالى لها النصرة الدائمة والظهور على أعدائها ، فحمل ذلك ابن تيمية على التعيين الخطأ فوقع من قوله ما وقع وكان مستبعدا له مفترضا إياه على الإستحالة ، مستدلا بذاك على بطلان دين النصرانية المحرف ببطلان هذا اللازم واستحالة وقوعه ، لكن الطامة أن ظهورهم اليوم أظهر من أن يجحد وهم في واقعنا أمكن وأقدر من أن يظهر عليهم لا المسلمون ولا المشركون ، وعلى وفقه ماذا يجب أن نعتقد فيما قال ابن تيمية رحمه الله

تعالى ؟! ، إلا أن نوقن أن ذلك من الافتراض الباطل ، وتبقى عقيدة المسلمين سالمة من المعارضة بهذا اللازم ، والخلل إنما أتى من فهمه هو نفسه لخبر الطائفة المنصورة والقول في تعيينها !! .

وزاد من خطأه رحمه الله تعالى توسيعه دائرة الطائفة المنصورة وتعميمها هنا ليدخل سائر الأمة تحت حكمها في مقابل النصارى فقال ما قال وافترض الباطل لازما على وفق هذا الفهم الغير صواب ولا شك .

وأيضا زاد في ذلك حين التزم إدخال طلاب المسيح عليه السلام وأتباعه في أول عهدهم في ذلك ، فاضطرب عليه ولم يأتِ بشيء إلا التخبط في طريق الوصول لمعرفة حقيقة هذا الظهور ومتى أوانه .

أورد ذلك على نفسه بجوابه المعارض لعقيدة النصرانية المحرفة ، حين زعم احتجاجهم لصحة دينهم الفاسد بقوله تعالى : ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ (الآية 55 من سورة آل عمران)

قال رحمه الله تعالى في هذا : وقالوا ـ أي النصارى ـ ولنا في هذه الشهادات والدلائل من الكتاب الذي في أيدي هؤلاء القوم .. وأعظم حجتنا ما وجدنا فيه من الشهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .

فأجاب رحمه الله تعالى عن ذلك بقوله : ما ذكروه حجة عليهم لا لهم ، فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، وخبر الله حق ، ووعد الله صدق ، والله لا يخلف الميعاد ، فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم .

ثم لما بعث محمد ﷺ بالدين الذي بعث به المسيح ، وسائر الأنبياء قبله ، ... صارت أمة محمد ﷺ أتبع للمسيح عليه السلام من النصارى الذين غيروا شريعته ، وكذبوه فيما بشر به ، فجعل الله أمة محمد فوق النصارى إلى يوم القيامة ! ، كما جعلهم أيضا فوق اليهود إلى يوم القيامة .. فأمة محمد ﷺ فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة .

ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون النصارى غلبوهم ، وأخذوا منهم خيار الأرض : الأرض المقدسة ، وما حولها من مصر والجزيرة ، وأرض المغرب ، ولم يزل المسلمون منتصرين على النصارى ، ولا يزالون إلى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين ، وإنما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم ، ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم .

ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح والمسلمون كفارا به لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين ، لأن جميع المسلمين ينكرون إلهية المسيح ويكفرون النصارى ، فعلم أن المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى اهـ . (الجواب الصحيح 3/504)

هذا تمام كلامه المنكر في هذا الأمر ينقضه ما عليه واقع الأمة التعيس اليوم مثل ما ذكرت آنفا ، فالنصارى لهم السلطة المطلقة في التحكم بمجريات الحكم في بلدان الوطن العربي وغير العربي من شعوب العالم المنتمية للإسلام ، وما حكام هؤلاء إلا دمى بأيدي النصارى ، دمى لعب أو أحجار شطرنج على طاولات وكالات الاستخبارات الغربية ، يقلبون أمورهم مثل ما يشاؤون على وفق مصالح النصارى العامة ، وهم بمثابة النواب الأذلاء الذين لا يتوانون في تنفيذ رغبات سيدهم وإمامهم الأكبر ! .

وهكذا دائما الإمام الأكبر لا بد له من نواب صغار يديرون تفاصيل الممالك دونه لاستحالة أن يدير كل التفاصيل بنفسه فلا بد له من أعوان ، وعليه نصبوا هؤلاء الحثالة ليديروا مملكتهم الكبرى لا أكثر .

هم ظاهرون ولازم ابن تيمية ثبت بطلانه ولا يعني هذا أنهم على دين الحق أبدا ، لا يعني هذا التسلط والظهور ذلك إنما المعارضة حصلت في مخيلة شيخ الإسلام وغيره من فهمهم الباطل لخبر ظهور الطائفة المنصورة وظنهم دوام ذلك إلى الأبد من عصر السابقين .

وما يعنيه هذا الظهور للنصارى على سائر العرب اليوم وعلى كل من ينتمي للإسلام من الشعوب الغير عربية ، هو بطلان حال الأمة العربية وغيرها ممن ينتمي للإسلام وفساد دينهم جميعا لا في أصله ، حاشا لله أن يكون دين

الإسلام باطلا والعياذ بالله ، لكن فسد الدين الذي يحسبونه الإسلام بتلبيس رهبان السوء ، مثل ما أفسد إخوانهم دين اليهودية والنصرانية من قبل ، وحرفوا الدين بتأويلاتهم الباطلة وأذهبوا نوره مثل ما فعل أمثالهم في ملل الكفار من قبل ، فانطمست معالمه الظاهرة وعاد في أصله وفصله غريبا لا يعرف إلا من هذه الفئة القليلة الطريدة المنبوذة ، طائفة المهدي ومن معه ، هذه هي الحقيقة التي ينبغي على الجميع إدراكها ، وليس الأمر على ما زعم الزاعمون وتمنى المتمنون !! .

وليس بصحيح أيضا قول ابن تيمية في المانع من ظهور اليهود ، وأن هذا لمقتضى أخبار الطائفة المنصورة وبقاء الدين عزيزا على الدوام ، أبدا فاليهود هم أيضا اليوم ممكنين من العرب ، تمكينا إن لم يكن أقدر وأمكن من تمكين النصارى فليس دونه ، والظاهر للعارفين المطلعين على خفايا الأمور أنهم أمكن من النصارى لكنهم يديرونها من وراء الستار ، وهذا بين من مجريات الأمور العالمية في سياساتهم الدولية المعاصرة ، اليهود لهم المكنة المطلقة على السياسة الدولية ، فالعالم كله محكوم من حزبي أمريكا جناحي النسر !! ، وهؤلاء محكومين من اليهود لا يماري بهذا إلا جاهل أو جاحد .

فهل يعني تسلط اليهود بالقوة وظهورهم على العرب أن دينهم في أصله باطل أبدا لا يعني هذا ، بل العرب هم الباطل وهم من كفر وارتد عن الدين الصحيح وتخلوا عن أصله ، فسلط عليهم هؤلاء التسليط العام الذي نفى

تحققه ابن تيمية لاستدلاله الغير صحيح ، وافترض مثل ما قلت لاستحالة تحققه ذاك الباطل من اللازم ، أن يكون دينهم حق ودين المسلمين هو الباطل ! .

لكن الحق أن العرب هم الباطل ودين مُحَمَّد وشريعته ﷺ دائما هو السالم ولو حرف المحرفون وأذهب إشراق نوره جهالات أحبار السوء ، لكن يبقى في أصله سالم ولروحه حياة في جيله القادم ، ينهضهم الله تعالى به ويعلي شأنهم كعهدهم السابق متى شاء سبحانه ، فكلماته تامة ومواعيده كلها صادقة ، وأي خلل إنما يعود لتقصير الناس وجهلهم في فهم تلك المواعيد وحقيقتها .

ثم قوله رحمه الله تعالى : فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .. فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم اهـ .

أقول : هذا من أكذب الأقوال وأشدها تخرصا خصوصا مع ظنهم أن ذلك كائن ليوم القيامة ، لكن ماذا بوسعي أقول وأنا في دهشة شديدة من هذه المقدرة الذهنية على الجمع ما بين المتناقضات والمخالفات التاريخية والواقعية ! .

من أين أتى ابن تيمية رحمه الله تعالى بما قال ليحمله على ظاهر القرآن ، إنها النبوءات حين يفسدها التأويل الباطل ويذهب نور حقيقتها التحريف ! .
هذا غير صحيح على الإطلاق بل تلاميذ المسيح عليه السلام نالهم من الإضطهاد بعد رفعه والتشريد والتعذيب ما نالهم ولم يمكنوا ! ، وما مكن

مبشرهم نفسه عليه السلام فكيف بهم ، والكل يعلم ما حصل في قصته وما وقع من تشبيه الله تعالى لأعدائه على أحد تلاميذه فظنوه المسيح وليس هو ، بل رفعه الله تعالى وطهره من رجسهم ونجسهم ، وكان الأمر شديد الغموض حتى قال بصلبه بعض أخلص تلاميذه ! ، بل صدقت أمه عليها السلام أن هذا ما حصل لولدها حتى طالبت بجثة المصلوب ، وكانت الفتنة عظيمة جدا في ذلك .

لكن الله تعالى برحمته ستر ورفع الغمة عنها وعن أخلص تلاميذه بعودته ! وإيضاحه ما خفي عنهم على الرغم من إخبارهم عن ذلك سابقا لكن لم يثبت علمهم في مخيلتهم من هول الصدمة وشدة المفاجأة ! ، وهكذا سيدنا مصطفى الله تعالى عليه الصلاة والسلام سيعود لإيضاح ما خفي من أمره ويكشف الغمة والكرب العظيم عن هذا الأمة برحمة الله تعالى وفضله .

وما يدري ابن تيمية بهذا رحمه الله تعالى وهو في هذا المبحث على إحدى الضفتين ، لكنها البعيدة للأسف ، فقد أغلق على نفسه وقال مقولته المتخرصة الأخرى : فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب ، لكن عمدتهم على ذلك الشخص الذي جاء بعد أيام ، وقال : أنا المسيح ، وذاك شيطان ! اهـ (مجموعة الفتاوى 7/ 59) .

وهذا منكر من القول عظيم ، وهو انسياق خلف النصارى في تحريفاتهم ومزايدة عليهم بتحريف وعمى شديد على النبوءات ، وإلا فالحق أن المسيح عليه

السلام عاد وربط الله بعودته على قلب والدته البتول ومخلصي أصحابه ، وذكرهم كما عنفهم على تصديقهم أنه هو المصلوب ! ، وبين لهم أنه سبق له القول أنه سيرفع فكيف يصدقون ما حصل على الرغم من شدة الشبه ، وبذلك زالت الشبهة عنهم وتيقنوا الأمر على وجهه الصحيح ، وكانت عودته عليه السلام لهم نصرة للحق ودفعا للباطل أن لا يلتبس على أمره عليه السلام.

وكان هذا الرجوع من جنس رجوع موسى عليه السلام وإيليا للإلتقاء بالمسيح عليه السلام قبل رفعه ، وقد حصل ذلك على مرأى ومسمع من بعض تلاميذ المسيح عليه السلام شهد بهذا إنجيل المسيح العظيم ، وابن تيمية بنفسه رحمه الله تعالى يقول : وقولهم برجوع المسيح لا يقدح في نقلهم عنه ! . وهذا مما نقل في إنجيله عن أخلص وأقرب تلاميذه رضي الله عنه وهو برنابا.

وهذا نص خبر عودة موسى عليه السلام وإيليا من الإنجيل قال التلميذ البار برنابا رضي الله عنه كاتب الإنجيل الصحيح : ولما قال يسوع هذا انصرف وذهب إلى جبل طابور وصعد معه بطرس ويعقوب ويوحنا اخوه مع الذي يكتب هذا، فأشرق هناك فوقهم نور عظيم ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج ، ولمع وجهه كالشمس ، وإذا بموسى وايليا قد جاءا يكلمان يسوع بشأن ما سيحل بشعبنا وبالمدينة المقدسة ، فتكلم بطرس قائلا : يا رب حسن أن نكون ههنا ، فإذا أردت نضع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة والأخرى لإيليا ، وبينما كان يتكلم غشيته سحابة بيضاء ، وسمعوا صوتا قائلا : انظروا خادمي الذي به

سررت ، اسمعوا له ، فارتاع التلاميذ وسقطوا على وجوههم إلى الأرض كأنهم أموات ، فنزل يسوع وأنهض تلاميذه قائلا : لا تخافوا لأن الله يحبكم وقد فعل هذا لكي تؤمنوا بكلامي.اهـ (الفصل 42 ص 55)

وتضمن هذا النص فوائد جليلة ليس هنا أوان الحديث في تفصيلها ، بل المهم عندي هنا الكلام في عودة هذين النبيين الكريمين وهما موسى وإيليا عليهما الصلاة والسلام ، وهما من الأنبياء الموعودين بالرجعة للدنيا لإتمام الشهادة على كل الناس ممن اتبع دينا سماوي أو دينا شركيا وثنيا محدثا ، مع شهادة حبيبنا المصطفى عليه الصلاة والسلام بذلك ، وعدا من المولى عز وجل في إظهار دينه على سائر الأديان ، ولذا أثبت الله تعالى لتلاميذ المسيح إمكانية عودتهما والتقائهما برسول الله المسيح قبل رفعه ! .

ويلزم من قول ابن تيمية في عودة المسيح عليه السلام بعد رفعه أنه شيطان ـ عياذا بالله من هذا القول المنكر ـ قول ذلك حتى في موسى عليه السلام وإيليا !! ، بل والنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد عودته ليجتمع مع إخوته من رسل الله لإتمام الشهادة على الخلق !! ، وقد ثبت تصريحه بهذا عن رسول الله المصطفى عليه الصلاة والسلام كما سيمر معنا قريبا في قصة عمر رضي الله عنه ومعارضته من قال أن رسول الله مات ، ويكفي في هذا المنكر العظيم سماعه لينفر العاقل منه فضلا عن أن يؤمن به أو يخوض بجهل فيقع في أمر النبوءات وعودة الرسل بالجهل ثم يجلب على نفسه ما لا تحمد عقباه .

فما له ابن تيمية وهذا يتعرض له بالتخرص وينسب المسيح عليه السلام للشيطان ، لوما شدة التباس أمر النبوءات في دين الله تعالى عليه وعلى غيره من هذه الأمة ، مثل ما كان ملتبسا أمر صلب عدو المسيح على تلاميذ المسيح عليه السلام ، وإلا نبي الله ورسوله كان أخبرهم بأنه سيرفع ويسلمه الله من شر اليهود وأسيادهم من الرومان ، ومع هذا لما رأوا شدة الشبه بالخلقة وحتى الصوت وقع منهم ما وقع ، لدرجة مطالبة مريم عليها السلام بجسد هذا الملعون الذي وقع عليه الشبه لظنها القوي أنه ولدها المسيح عليه السلام على ما قص كاتب الإنجيل برنابا رضي الله عنه .

وقول ابن تيمية في هذا لا يبعد كثيرا عن زعمه الآخر في قصة عمر رضي الله عنه حين قبض المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أنه سيعود لأنه رفع كما رفع موسى وعيسى ، فادعى : أن ذلك من إلقاء الشيطان على عمر رضي الله عنه !! اهـ (مجموعة الفتاوى 296/1) .

بل كان يستدل لكل ذلك ويقرن بالذكر أيضا ويزيد في إفساد النبوءات بقوله :
فإن قيل : إذا كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل لهم هذا في إيمانهم ، فأين المؤمنون به الذين قال فيهم : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا . وقوله : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

قيل : ظن من ظن منهم أنه صلب لا يقدح في إيمانه إذا كان لم يحرف ما جاء به المسيح ، بل هو مقر بأنه عبدالله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاعتقاده بعد هذا أنه صلب لا يقدح في إيمانه ، فإن هذا اعتقاد موته على وجه

معين ، وغاية الصلب أن يكون قتلاً له ، وقتل النبي لا يقدح في نبوته ، وقد قتل بنو إسرائيل كثيرا من الأنبياء ..

وكذلك اعتقاد من اعتقد من الحواريين أنه جاء بعد الرفع وكلمهم هو ، لا يوجب خروجهم عن الإيمان بالمسيح ـ ولا يوجب لهم النار ـ ، ولا يقدح فيما نقلوه عنه ، وعمر لما كان يعتقد أن النبي ﷺ لم يمت ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وأنه لا يموت حتى يموت أصحابه ، لم يكن هذا قدحا في إيمانه ، وإنما كان غلطاً ورجع عنه اهـ.(مجموعة الفتاوى 60/7).

وهذا من القول بين البطلان وفيه تخليط كثير دفعه له معتقده في وجوب بقاء الطائفة المنصورة وهو ما ألجأه لهذه التأويلات الفاسدة والتخاليط العجيبة ، والرد عليه سيكون من عدة أوجه :

الأول في قوله : ظن من ظن منهم أنه صلب لا يقدح في إيمانه اهـ .

أقول : بل يقدح وهو كفر ممن بلغته الحجة وأيقنها في حقيقة المصلوب ، وقد عذر الله ورسوله الحواريين وأمه لقوة الشبهة عليهم بقوة شبه المصلوب بالمسيح عليه السلام فذهلوا حينها من هول الصدمة ولهفة الفراق عما كان يقول لهم من قبل ، فشككوا أو صدقوا جزما أنه صلب وكانوا قد ذهلوا عن تصديق خبره من قبل ، أنه سيرفع ويسلمه الله من شر هؤلاء ولن يناله أذىً .

عذروا لشدة التباس الأمر ، لكن بعد زواله برجوع المسيح عليه السلام وإيضاحه لحقيقة ما جرى ، لو أصروا بعد ذلك على أنه هو من صلب لكفروا ، وليس صحيحا قول ابن تيمية هنا أن هذا الشك أو التصديق أنه المصلوب لا يقدح بإيمانهم ، لأن ذلك داخل في باب تكذيب الرسول فيما أخبر وهو كفر ، فمن كذب الرسول في خبره عن الله تعالى وعن أمر غيبه يكفر ولا شك ، فكيف يقال في مثل هذا بقول ابن تيمية حين أعمل فيه هذا العذر وهذا التأويل وأنزله منزلة الأحكام العامة ، هذا ذهول لا يليق بمثل ابن تيمية رحمه الله تعالى لو ما شدة الجهل فيه في هذا الباب مع أنه صاحب الجواب الصحيح ! ، فما بالكم بمن هو دونه .

أقول : لا شك أن هذا ليس هو من باب الأحكام العامة التي يصح تأولها إلى ما دون الكفر، فهي مسألة حادثة فرد ، وفي حياة الرسول المسيح عليه السلام قطع فيها كل عذر بعودته ! ، كمثل قصة ذات أنواط ، فلو أبوا إلا ذات أنواط لكفروا ، ومثله في أمر صلب المسيح عليه السلام ، فلو أصروا أنه صلب لكفروا لتبليغ الرسول لهم كذب ذلك ، مثل ما لو أصر مسلم أن المصلوب هو المسيح عليه السلام بعد بلاغ القرآن بالنفي لكفر ، لأنه تكذيب للقرآن ، وتكذيب القرآن والرسول المبلغ عن الله تعالى كفر .

وذات أنواط قد تكثر ويكثر عابديها ، أما المسيح فواحد فرد في قصته بين المسحاء ، فكل من قال هو الذي صلب يكفر ولا كرامة فقوله تكذيب لله

ولرسوله عليه السلام فلا يصح عليه عد أمره من أمر الأحكام العامة ليصح فيه العذر بالجهل أو التكذيب .

ولو ما جهل ابن تيمية في هذا ويقيننا بعدم بلوغ العلم له وتعذر وصوله هو للعلم في ذلك ، لقلت بكفره على تأصيله هذا واعتقد ذلك فيه ، لكن ليحذر غيره من المعاصرين أن يقعوا بالكفر والردة في مثل هذا الخوض لعدم توفر الموانع لهم مثل ما هي لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، أعني القول بأن الذي عاد لتلاميذ المسيح ما هو إلا الشيطان .

الثاني في قوله : وعمر لما كان يعتقد أن النبي ﷺ لم يمت ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وأنه لا يموت حتى يموت أصحابه ، لم يكن هذا قدحا في إيمانه ، وإنما كان غلطاً ورجع عنه اهـ .

أقول : هذا غير صحيح وجزمه مظنون هنا ، وشيخ الإسلام لم يميز رحمه الله تعالى ما بين رجوع عمر عن القول بموته ، وما بين القول بوجوب عودته والفرقُ ما بين الأمرين ظاهر ولو خفى إدراكه على مثل ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فرجوعه لتيقنه قبض المصطفى عليه الصلاة والسلام لا لقوله بعودته!.

يفيد ذلك ما رواه الدارمي رحمه الله تعالى وابن سعد قول العباس على رؤوس كبار الصحابة رضي الله عنهم : قد مات ، أي قوم فادفنوا صاحبكم فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتتين ، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين وهو أكرم على الله من

ذلك ، فإن كان كما تقولون فليس بعزيز على الله أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله !! . (رواه الدارمي 1 / 39) و (ابن سعد 204/2)

وهذا كما هو ظاهر فيه تفريق ما بين الإقرار بوفاته ووجوب دفنه عندهم ، وما بين عودته عليه السلام بعد ذلك ! ، وما عهدنا العرب فيها عجمة وليس لهم لغة تعينهم على بيان مراد أنفسهم ، وهم أهل البلاغة وأسياد البيان .

وهذا الذي أثر عن العباس رضي الله عنه وعلقه بالمشيئة ! ولم يمنع منه مطلقا كما هو ظاهر كلامه إلا أنه ادعى لازمه أن رسول الله تعالى سيموت موتتين وهذا مستبعد عندهم جدا وهو المانع الذي منع من قال بأنه توفي وأنه يجب عليهم دفنه ، وهو ما ذهب إليه كل من خالف عمر رضي الله عنه ومن معه ، وقد صرح به الصديق رضي الله عنه على ما نقل عنه في الصحيح وقال بقول العباس : أن الله لا يجمع عليه موتتين ، أيميت غيره موتة واحدة ورسوله يميته موتتين ، فأقسم الصديق أن هذا لن يكون ! .

وقد عرف العلماء أن وجه كلام الصديق هذا ، إنما هو رد على من قال أنه سيعود ، وعليه كان النزاع بين الصحابة ، منهم من يقول سيعود وهو لم يتوفى ، عليه عمر والكثير من الصحابة ، ولقوة نفوذ هؤلاء واعتبار قولهم في أمر قبضه عليه الصلاة والسلام عجزوا الآخرين عن دفنه وتركوه لعدة ليالي لا يستطيع أحد يقربه ، وقد كان عمر يهدد بقتل من يقرب جثته عليه السلام .

قال ابن سعد عن الحسن : لمّا قُبض رسول الله ﷺ ، ائتمر أصحابه فقالوا : تربصوا بنبيكم ، لعله عرج به . قال : فتربصوا به حتّى ربا بطنه فقال أبو بكر : من كان يعبد مُحَمَّدًا فإن مُحَمَّدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . (الطبقات2/208)

ثم سلموا بعد ذلك حين تيقن الفريق المعتقد لعودته بعد انتظار تلك الليالي أنه بالفعل توفي ، فقرروا عند ذلك دفنه عليه السلام .

وهنا يفهم من رد العباس والصديق رضي الله عنهما على إيراد لازم الموتتين على من قال بأنه لم يمت ، ثم تعليق العباس بالمشيئة عودته عليه السلام إن كان الأمر هذا حقا ، أن الأصل في الخلاف بين الصحابة ﷺ عودته عليه السلام ، وفرع عليه الإقرار بوفاته ومن ثم وجوب دفنه ، فهذا هو الوجه الحق في المسألة ولا يجوز قول غيره ، فكل ذلك يعد من التخرص والمزاعم الباطلة ، مثل زعم شيخ الإسلام هنا على عمر ﷺ أن أخطأ بقوله ذلك ورجع عنه من غير أن يعي حقيقة الخلاف الجاري بين كبار الصحابة ، وتفريقه ما بين أصل النزاع وفرعه .

وهنا الوجه في هذه المسألة وحصول اللبس على ابن تيمية رحمه الله تعالى لمجرد إقرار عمر للصديق بأن المصطفى ﷺ قد قبض بالفعل وأنه يجب عليهم دفنه ، شبيه باللبس الذي وقع عنده في إقرار عمر الفاروق للصديق في قتال مانعي الزكاة ، فقد وهم ابن تيمية أيضا وهما عظيما في أن تسليم الفاروق للصديق

بوجوب القتال إنما هو منسحب على الحكم عليهم بالردة ، وهذا منكر عظيم وخلط عجيب جدا أعجب من مثله أن يقع بمثل هذه السطحية في إدراك حقيقة الأمر ، ومعرة ما ذهبوا إليه لو يعلمون تعود على الحقيقة للفاروق بالنقص لكن حاشاه ﷺ ، إنما المعرة تعود على ابن تيمية ومن فهم فهمه في حقيقة النزاع على مانعي الزكاة ، وهل يصح في الفاروق أن يعارض مقاتلة مانع الزكاة الجاحد وجوبها على الإطلاق وهذا ما فهمه هؤلاء بغير روية ! ، وهذا الصنف من الجهل معارضة الإمام في إيجابه مقاتلتهم ، لكن الحق أن المنازعة إنما هي في إيجابه مقاتلة مانعها المقر بوجوبها ، وهذا الذي دعى الفاروق لمعارضة الصديق في بادىء الأمر ثم سلم لقوله وقال : ما أرى إلا أن الله تعالى شرح صدر الصديق للقتال ! . لما رأى من عزمه على المقاتلة .

وتثبت بعض المرويات كما أثبت في سنن ابن منصور وغيره أن الفاروق وعلى الرغم من تسليمه للصديق ما زال في نفسه من ذلك بقية ، حتى أرجعهم لأهاليهم وكف المسبيين جميعهم وردهم لمأمنهم بعد توليه زمام الإمامة .

فماذا يقول ابن تيمية الآن في تراجع الفاروق وتسليمه لقول الصديق في حكم مانعي الزكاة ، هل هو خطأ أيضا ؟! ، أم ما كان عليه من معارضة للقتال هو الخطأ ؟! ، فعاد عنه للصواب من اختيار الصديق ﷺ .

فإن اختار الثاني فعندها سنقول ليس مجرد التراجع من عمر دليلا على التصويب ، مع أنا لا نسلم له أن عمر بالفعل تراجع عن قوله بالعودة ، بل هو

كما ذكرت إنما تراجع عن القول بوفاته وسلم بوجوب دفنه عليه السلام ، ومع هذا في قضية مانعي الزكاة ثبت أن ليس في مجرد تراجعه حجة في المسألة تدعونا للقول أن هذا كان من إلقاء الشيطان ! .

ومثل ما ثبت عنه أنه ليس على قول الصديق في ردة مانعي الزكاة واستحلال سبيهم لمجرد منعهم الزكاة عن الإمام مع تسليمه له في حكم القتال ما أوهم ابن تيمية وغيره أن الفاروق معه في كل ذلك ، وهذا ما فهموه من ظاهر الأمر ، كذلك أنا أقول أنه ليس على قول الصديق في عدم عودته ولو سلم له بأنه توفي وأنه يجب دفنه ، ومن خالف في ذلك فعليه الدليل عن الفاروق وإلا بفيه التراب .

أما أنا فأقول انظروا معنا هذا الأثر عن الفاروق ما بعد تلك الحادثة وفي زمن ولايته ماذا قال لإبن عباس ، قال ابن عباس رضي الله عنه : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له وفي يده الدرة وما معه غيري ، قال : وهو يحدِّث نفسه ويضرب وحشيّ قدمه بدرته ، قال : إذ التفتَ إليَّ فقال : يا ابن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ؟ . قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ! . قال : فإني والله إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ فوالله إن كنت لأظن أن الرسول ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها

بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت . (السيرة لإبن هشام 4/ 286)

ما دعاه لهذا القول وإعادة ذكر ذاك النزاع إلا لما وقع في قلبه من تحديث أن الرسول لا بد من شهادته على آخر أمته لظاهر الآية التي تلا ، وهو عين معتقدنا الحق الذي نحن عليه اليوم ، ولو كان تسليم الفاروق على ما زعم ابن تيمية جار على أصل المسألة وهو عودته عليه السلام ، وفرعها وهو إيجاب دفنه ، لما قال في زمن ابن عباس هذا القول ولما بقى لها في ذهنه بقية أبدا ، خصوصا على اعتقاد ابن تيمية أنه من إلقاء الشيطان ، وهو خطأ رجع عنه عمر الفاروق المحدث ! .

لكن الحق أن ابن تيمية رحمه الله تعالى وهم في هذا مثل ما وهم في مسألة مانعي الزكاة وجر رجوع الفاروق ﷺ لوجوب قتالهم على استحلال سبيهم وهو ما لم يرده الفاروق ، ولذا ردهم مثل ما قلت بمجرد توليه الخلافة.

وكذلك جر رجوع عمر ﷺ عن قوله بعد وفاة المصطفى ﷺ ، لعقيدة وجوب عودته للدنيا ليحقق الإشهاد ، وفي كل ذلك وهم ابن تيمية مثل ما وهم الكثير في هذه الأمة حتى باتت عندهم اليوم من الأمور الإجماعية عياذا بالله تعالى من الضلال والجهل .

الثالث في قوله : فإن قيل : إذا كان الحواريون الذي أدركوه قد حصل لهم هذا في إيمانهم ، فأين المؤمنون به الذين قال فيهم : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا . وقوله : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين اهـ .

أقول : هذا الإيراد بحد ذاته مغالطته عجيبة ، لأنه أولا لا يمكن أن يصدر من نصراني يؤمن بعقيدة الصلب أنه واقع على المسيح من أجل تطهير خطايا المؤمنين به ، وهذه حقيقة عقيدة النصرانية الكاذبة الفاجرة .

ولم يبقَ لهذا القول وجه إلا بإيراده على وفق اعتقاد المسلمين ، وهذا هو الصحيح ، ولا استبعد أن منتج هذه المغالطة هو ابن تيمية نفسه أورد هذا الإشكال القائم عنده ورام رده بالحجة على حسب ما يفهم ، لكنه فشل وأتى بالطوام مع عدم تمكنه من رد هذا الإشكال الذي أورده ، وما حسب رحمه الله تعالى أن هذا الإشكال قائم على أكثر من ظن الحواريين أن المسيح عليه السلام صلب حتى يجتهد بالرد على ذلك بما زعم .

بل الإشكال سيبقى قائما لا يزيله شيء لثبوت الواقع على خلاف ظاهر تلك الآيات وذلك بحسب فهم ابن تيمية ومن وافقه على هذا الفهم المضطرب لآيات وعد الله تعالى بالقطع بتأييد الذين آمنوا بالمسيح على عدوهم ! .

فكيف يستقيم قولهم في ذلك والحواريون أضعف وأذل ما كانوا بعد فقدانهم وجود المسيح بين أظهرهم ، شهد بذلك خاتمة الإنجيل وما سطرته أنامل تلميذه

البار ﷺ برنابا ، فقال في بيان مدى ضعفهم بعده عليه السلام : فأمر رئيس الكهنة أن لا يتكلم أحد عن يسوع الناصري وإلا كان تحت عقوبة الحرم ، فحصل اضطهاد عظيم فرجم وضرب ونفي من البلاد كثيرون لأنهم لم يلازموا الصمت في هذا الأمر .

وقال أيضا : وبعد ان انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في انحاء اسرائيل والعالم المختلفة ، أمام الحق المكروه من الشيطان ، فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائما ، فان فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولن يقوم ، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع في عدادهم بولص ، أما نحن فإنما نبشر بما كتبت الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الآخير لدينونة الله آمين اهـ .

هذه حقيقة الأمر ، فقد كان التلاميذ قلة وبعضهم فتن وارتد لمعتقد الشيطان على حسب ما ذكر تلميذه الصادق البار برنابا ، فإين الظهور والمكنة على حسب ظاهر الآيات التي أوردها ابن تيمية ، وعد أن لا إشكال يعارضها إلا قول بعض التلاميذ أن المسيح بالفعل صلب ، ثم أخذ يجيب عن ذلك بما ذكرت سابقا ، فما أزال الإشكال وشفى بالجواب ، ولا هو عرف بحقيقة التأويل ووفق للجمع في بيان سر التنزيل ، بل أتى بالتخليط على كل ذلك وبقى الإشكال قائما لن يرفعه إلا تقريري هنا بحول الله تعالى ، وبهذا التقرير وحده سيعرف المؤمن حقيقة تأويل تلك الآيات وسيهدى بإذنه تعالى وتوفيقه

للجمع ما بين مراد الله تعالى بالقرآن فيما أخبر عن أتباع المسيح عليهم السلام .

فأقول : قوله تعالى : ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ . (الآية 55 من سورة آل عمران)

ليس أوان تأويل هذا بعد رفع المسيح عليه السلام ، بل لذلك أمد بعيد ووقته آخر الزمان ، لما ثبت بنص رواية التلميذ البار برنابا ﷷ لإنجيل المسيح ، وبيانه أن حال المؤمنين بالمسيح عليه السلام انتهى للتفرق ورجوع أكثرهم للقول الباطل في المسيح عليه السلام ، ولعله لم يبقى على الحق إلا برنابا وقلة جدا مع التلاميذ الأحد عشر ، أما الباقين فقد فتنوا وارتد أكثرهم على حسب رواية برنابا وقد نقلتها قريبا .

ووعد الله تعالى لأتباع المسيح هنا عليه السلام بالظهور إلى يوم القيامة من أعجب النبوءات في القرآن ، وقد حار في فهم هذه النبوءة ابن تيمية رحمه الله تعالى وأورد عليها ما أورد من إشكال ولم يستطع الجواب عليها على الإطلاق بل زاد عليها اللبس بذلك الجواب ، فلم يوفق لا بما أورد ولا بما أجاب ، وجافا الحقيقة والواقع وشريعة السابقين فيما قال غفر الله تعالى له .

وفيما زعم في اعتقاد صلب المسيح تقوّل على غيب الله تعالى ، وكذلك دعواه ظهور تلاميذ المسيح وأتباعه على من سواهم ، كل ذلك كذب لا شهادة له من واقع تاريخي ولا نقل توثيقي ، بل إن نص كتاب برنابا أكذب هذا الزعم وكشف عن أن التلاميذ الذين ثبتوا على المعتقد الحق بعد المسيح هم القلة ، وأن حالهم من الضعف والهوان على اليهود كان عجبا ، حتى قتل منهم من قتل وشرد من شرد في أصقاع الأرض .

والقول الحق الفصل في تأويل هذه الآيات أن الله تعالى حين يرد رسوله ابن البتول عليه السلام آخر الزمان ، سيبعث تلاميذه الأبرار الذين بقوا على معتقد الحق بعده معه في عودته ، ليشهدوا بشهادته على من ادعى أنه أكبر من إنسان .

فهذه حقيقة ذلك الوعد ، نبوءة صدق وحق لا يكذب بها إلا جاهل لا مناص له إلا أن يقول بما ذكر هنا ، أو يعد مكذبا للقرآن في ذلك الوعد أن يظهر أتباع المسيح المؤمنين به على عدوهم إلى يوم القيامة ، وهو مما لا يمكن تحققه إلا بعودة هؤلاء الذين آمنوا به ليظهرهم الله تعالى مع من سيظهر على الكفار آخر الزمان من إخوانهم المؤمنين في هذه الأمة ، وسيبقون على هذا إلى يوم القيامة ، فما بعد الريح التي تقبض أرواحهم إلا القيامة .

والذي يثبت ما ذهبنا إليه هنا وهو الحق شهادة الإنجيل كتاب الله العظيم ، وما روي عندنا مرفوعا إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فهل هذا خير أم ما زعم ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وأصل كل ذلك في قوله تعالى : ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ .. كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ . (الآية 14 من سورة الصف)

والتأييد هنا في الآيات نبوءة وخبر لاحق وليس لزاما أن تحقق في عهدهم ، لما أوضحت سابقا وذلك :

أولا : لأن شهادة الإنجيل وإخبار كاتبه يخالف ذلك .

ثانيا : لأن المسيح نفسه عليه السلام اضطهد في حياته وطلب قتله حتى أوقع الله شبهه على تلميذه الدعي الخائن بعد ما رفعه الله إليه عليه الصلاة والسلام ، حصل ذلك في غرفة واحدة ما بين ذلك لحظات وعليه تورط الخائن في ظن الرومان أن هذا هو المسيح ع ليه السلام وليس الذي دخل أمامهم للتو ! لما حصل عليه من شبه شديد بالمسيح .

فكيف يكون الاضطهاد واقع عليه ويسلم منه تلاميذه ، بأي قوة يكون لهم ذلك واليهود شعبهم كانوا مكذبين للمسيح عليه السلام نفسه فما البال بتلاميذه ، وإن قيل : المراد ظهورهم بالحجة .

نقول : هذا كذب ، فشهادة تلميذه البار برنابا لا تسلم بهذا ، بل صرح بأن من تلاميذه من قال بخلاف الحق وتعددت بذلك ادعاءاتهم ، ناهيكم عن عامة بني إسرائيل !! ، ولم يخرج عنهم القول في المسيح لباقي الشعوب إلا على الوجه الباطل ، وما زالت الفئة القليلة جدا هم من كان على مثل قول برنابا البار رضي الله عنه ، وهؤلاء كانوا في قمة الاستضعاف ولم يتم لهم ظهور مطلقاً ، وعليه لم يبقَ إلا أن زمن هذا الظهور الموعود هو آخر الزمان عند عودتهم للشهادة على ما سأبينه لاحقا .

ثالثا : دعوة المسيح نفسه عليه السلام أن يبقي الله تعالى تلاميذه بعده ليشهدوا على الذين سيفسدون إنجيله عليه السلام ، وهذا مما لم يتحقق فإنجيله طمس ذكره وقدم للناس غيره مما حرف ونسب له كذبا وزورا ، حتى بلغت عدة أناجيل وكلها منحوله مكذوبة عليه .

وتحقيق الشهادة التي سألها لتلاميذه على من أفسد إنجيله ، لن يكون إلا في أحد هذين الزمنين :

الأول : بعد رفعه عليه السلام . وهذا مما لم يقع لما قدمت .

الثاني : آخر الزمان حين عودته ويكونون معه ليحققوا الإشهاد في جملة من ذكرنا في اعتقادنا من رسل الله تعالى الذين سيعودون آخر عمر الدنيا لهذه الغاية ، وهو ما يفيده كلامه في الإنجيل عليه السلام قوله : ارحم من أعطيتني وخلصهم من العالم ، لا أقول خذهم من العالم ! ، لأنه من الضروري أن يشهدوا على الذين يفسدون إنجيلي ، ولكن أضرع إليك أن تحفظهم من الشرير حتى يحضروا معي يوم الدينونة يشهدوا على العالم وعلى بيت اسرائيل الذي أفسد عهدك اهـ . (112 ص285)

وهذا هو القول الحق بإذن الله تعالى لأن الإشهاد حتما سيكون لاحقا للإفساد لا سابقا له ! ، ومن تنبه لهذا عرف الفرق وأيقن أن هذا مما لم يكن بعده في حياته عليه السلام ، لما قررت سابقا من حصول الاضطهاد بحقهم ، كذلك حصول الشك في أكثرهم وقولهم بالكفر والعياذ بالله تعالى .

ثم هنا وجه حسن يكشف حقيقة تأويل آيات الظهور وأنه كائن آخر الزمان لا محالة ، لا كما فهمها ابن تيمية وغيره كثير ، ذلك لأن الإفساد الحاصل في الإنجيل بعد رفعه مناف لظهورهم على أعدائهم ولم يبق إلا اعتقاد أن ظهورهم الموعود بتلك الآيات سيكون آخر الزمان ! ، حين يحقق الله به الشهادة على بني إسرائيل والعالم كله كما سيكون بحول الله وقدرته ونصره لرسوله ولكتابه سبحانه .

ثم أيضا هناك وجه أتم وأكمل وأحسن في معنى الظهور وأنه كائن آخر الزمان ، ذلك في دعوة عيسى عليه السلام له ولتلاميذه أن يكونوا في أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، ومقتضى إجابة هذا الدعاء تحقق عودتهم آخر الزمان مثله عليه السلام ليصح دخولهم في أمة المصطفى ﷺ ، وعليه قال المسيح عليه السلام : أيها الرب الجواد والغني في الرحمة امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين ، وليس أنا فقط بل كل من قد أعطيتني مع سائر الذين سيؤمنون بي بواسطة بشيرهم اهـ . (112ص285)

وهو عليه السلام بالعودة دخل في أمة المصطفى ومثله تلاميذه حين يعودون للحياة سيدخلون في جملة أمة مُحَمَّد ﷺ تحقيقا لهذا الدعاء ، وهو المعنى الذي تضمنته آيات الوعد بإظهار من آمن به عليه السلام على عدوهم .

وهذا الوعد بالإظهار هو عين ما أكد في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ﴾ . فكلنا يعلم يقينا أن لو كان هذا الظهور المنبأ عنه في هذه الآية دائما من حياة المصطفى عليه السلام ليوم القيامة لعد خبر الآية غير واقعي ، وذلك لعموم إخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام عن الفتن واندراس الدين بل انقطاعه وعودته غريبا طريدا ، ما ينافي هذا الوعد ويدل على عدم تحققه ، فتعين علينا اعتقاد أنه ظهور مخصوص معين يكون آخر الزمان ، فيه يظهر الله الإسلام على سائر الأديان بتمكين المهدي عليه السلام ليحكم كل الأرض بهذا الدين العظيم بإذن الله تعالى ، وتكون شريعة الإسلام هي القائدة والرائدة لتنظيم شؤون الخلق .

وحين استشكلت عائشة زوج المصطفى ﷺ ظهور الفتن وعبادة الناس الأصنام بعد بعثه بالإسلام عليه السلام ، كان أول ما تبادر لذهنها هذا الوعد بالظهور ! ، وفهمت أن ما يخبر عنه من وقوع الفتن وعودة الناس للوثنية أنه مناف لهذا الوعد بالآية ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن بين لها أنه لا منافاة ، وأن حقيقة الوعد كونه لأمد محدود معين ، حد نهايته بالريح التي تقبض أرواح المؤمنين ! ، وترك لها ولمن بلغه الخبر تقدير بدايته بالفهم وقوة الإدراك ! .

وقد قلت قبل : أن ذلك مما يعقب الفتن وغربة الإسلام وضعف أمره ، ثم يكون ظهور الطائفة المنصورة بانتصار الإسلام وظهوره ما شاء الله له أن يظهر وبعد ذلك تأتي الريح فتقبض أرواح المؤمنين ، هذا معنى الآية وعليه تحمل أخبار الطائفة المنصورة وظهورها .

رابعا : لما روى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال حدثنا الفضل بن مُحَمَّد الواسطي قال : حدثنا إبراهيم بن الوليد قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبدالملك بن عقبة الأفريقي عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن عبدالرحمن بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : (.. مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتب رواكبها وهيأ مساكبها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ، ثم عاما فوجا ، فلعل آخرها عاما طعما ، يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا ، والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه) .(أخرجه القرطبي في التذكرة ص 718)

قلت : تابع شيخ الترمذي على هذا الحديث أحمد بن عمر بن موسى بن زنجويه ، شيخ أبو الفرج الأصفهاني رواه عنه في كتابه مقاتل الطالبيين (ص 31) .

وهذا يشهد لما قدمت ولا شك وصريح فيه ، وكونه مرفوعا إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام يقوي القلب على هذا المعنى الصحيح في تفسير تلك الآيات ، ولو لم يكن إسناده بالقوي يبقى خير من قول الرأي بالقرآن والتخرص ! .

الفصل الثاني

من ترجيحات ابن تيمية الباطلة على أصل قوله في تعيين الطائفة المنصورة

قوله بتأويل ظهور اليهود أنه مما مضى وليس هو من أشراط الساعة [1] لمخالفة ذلك أصلهم في دوام ظهور الطائفة المنصورة ، قال ذلك تعليقا على قوله تعالى : ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعدُ الآخرةِ ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ﴾ ! الآية 6-8 الإسراء

قال رحمه الله تعالى : ثم بعث المسيح وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني ، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أمماً ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس .. حتى بعث مُحَمَّداً ﷺ فصارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم ، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين ، وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر !! اهـ . (الجواب الصحيح 224/5)

---

(1) قال بهذا قبله بعضهم منهم ابن قتيبة في كتابه المعارف .

بل زعم أن على ذلك التواتر فقال : كثير من علماء المسلمين الأكابر لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب ، بل وعند غيرهم من علماء المسلمين ، مثل : خراب بيت المقدس مرتين ، ومجيء بخت نصر إلى بيت المقدس ، والله سبحانه قد ذكر في القرآن المرتين .. ، فكانت الأولى بعد سليمان ، والثانية بعد زكريا ويحيى والمسيح ، لما قتلوا يحيى بن زكريا الذي يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمداني .

وكثير من المذكورين بالعلم يظن أن (بخت نصر) هو الذي قدم الشام لما قتل يحيى بن زكريا ، وهذا عند أهل العلم من أهل الكتاب وعند من له خبرة من علماء المسلمين : باطل . والمتواتر : أن (بخت نصر) هو الذي قدم في المرة الأولى اهـ (الجواب 337/6)

وهذا وهم منه رحمه الله تعالى مثل ما وهم في قوله بظهور النصارى ، وكل ذلك تخريجا على تأصيلهم دوام وجود الطائفة المنصورة ، ذلك التأصيل بين المخالفة كما للأدلة النقلية للواقع المشاهد أيضا .

ولو صح قول ابن تيمية وغيره في حتمية دوام ظهور المسلمين على اليهود والنصارى مثل ما ادعوا لما تحقق خبر تلك الآيات !! ، وها هو تأويلها ماثل أمامنا اليوم لا ينكره إلا جاحد للضروريات مكذب للنبوءات القرآنية .

العالم كله في هذا القرن رأى عودة اليهود واستيطانهم في فلسطين ظاهرين قاهرين لمن حولهم ، فعلمنا يقينا أن الله تعالى إنما أخبر عن هذا وأن كل من قال أن ذلك فيما مضى مثل ما اعتقد ابن تيمية وجزم ، أخطأ ولا شك ولو أدرك لعاد عن قوله فإن الحق لا يتناقض عنده ، وكلمات الله تعالى كلها صادقة ! .

وهنا حقيقة مرة يجب التنبيه عليها على مقتضى دلالة تلك الآيات فيما وعد الرحمن يهود بالظهور على مرتدي العرب ومنافقي ملة الإسلام ، ذاك الظهور الحتمي المقدر عليهم في التوراة لقوله تعالى : ﴿ وقضينآ إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ .

وها هم العرب ومنافقي الملة لما ارتدوا على أدبارهم ونقضوا دينهم سلط عليهم اليهود فباتوا عليهم ظاهرين ، خائرة عزائمهم واهنة مجامعهم يعلو وجوههم الذل يمخر في قلوبهم الوهن ، لحبهم الدنيا وكراهيتهم الموت ، فطالب الدنيا لا يحب الرحيل ، وفاقد الدين كيف له أن يرجو ويطيع رب العالمين ، وهكذا لما استووا مع غيرهم في الكفر وباتوا على ملة الدنيا ، غلبهم يهود وغير يهود بما حرصوا على ما عندهم من مواعيد ما زال مطلبهم الأسمى السعي لتحقيقها ، فظهروا عليهم وكبتوهم فصاروا أذلة بين أيديهم ، عبيدا مأجورين ، فمن خرج من عبودية الإله الحق ، حتما سيصير عبدا للأمريكان واليهود وسيتعس ولا غرابة ، فقد تعس عبد الدرهم والدينار وهم عبيد في الحقيقة لكل ذلك ، وإلههم الأكبر الذهب الأسود ! يسبحون بحمده ليل نهار (أَعْلِ بترول) .

وأعجب ما في تأويل تلك الآيات وتحقق القضاء لليهود أن فضلهم الله تعالى على هؤلاء مرتدي العرب ومنافقي ملة الإسلام فقال : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ . وهذا بعد ما رد لهم الكرة عليهم وأمددهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيرا كما هو ظاهر من واقعهم اليوم ! .

والمراد بالإحسان هنا لا شك اتباع كلمات أنبيائهم وتصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع ملته ، وعليه فتح لهم باب الرجاء ثانية بعد ما قضى عليهم الطرد الأول والجلاء والخزي ، يدعوهم ما قبل الثانية للإنابة والتوبة مقدما أمرهم على أمر منافقي الملة ومرتدي العرب يحثهم على الإحسان ما يدل على أنهم والعرب ليسوا سواء في ذاك الحين ، وأن ما عليهم إلا أن يحسنوا فسيزيدهم أكثر مما أعطاهم وإن أبوا فحينها سينالهم شر القضاء وسيعود للتسليط عليهم مثل ما سلط بالمرة الأولى بل أشد .

وفي هذا أبين برهان على مدى السوء الذي بلغه هؤلاء العرب في زمان ظهور اليهود ، والكفر الذي أرداهم أمام الله تعالى حتى فضل عليهم اليهود وفتح لهم بين أظهرهم باب الرجاء بالدعوة للتوبة والإحسان لأنه قال موجها الخطاب لهم : ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾.

وما ذلك إلا لاشتراك العرب واليهود في النسبة لأديان هي في أصلها سماوية لكن في تسليط اليهود وتفضيلهم هنا كناية على أنهم ليسوا في الكفر سواء وإلا ما فضلهم وفتح لهم باب الرجاء والرحمة من بعد الطرد واللعنة ، فلما استووا

بالنسبة لدين سماوي ثم فاق العرب ومرتدي الملة كفر اليهود بما أحدثوا من انسلاخ عن أحكام دينهم السماوي ، جاء هذا لصالح اليهود فالردة أشد من الكفر ، واليهود باتوا كفارا أصليين بالتقادم ! ، أما هؤلاء فهم أحدث كفرا وردتهم أقرب وأصرح فعليه كان ما كان وغلبت كفة النصرة فتم الإمداد وزيد عليه طلب الإحسان !! الذي إن تحقق كانت مزية الغلبة لصالح اليهود مطلقة .

ومجرد طلبها من اليهود يفيد عدم تحقيق العرب ومرتدي الملة لها ، كما يفيد أيضا قوله تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ . أن ليس للعرب ومرتدي الملة رحمة ترجى ! .

وهذه من أطم الفوائد المستخرجة من القرآن الكريم على رأس هؤلاء الملاعين المنبوذين لكفرهم الشديد حتى فضل عليهم يهود وسلط عليهم النصارى والعياذ بالله العظيم من شرهم ، فليهنأوا بحكامهم وليتشبثوا في دنياهم وأوطانهم ، وليبقوا تحت نير النصارى وتسلط اليهود حتى ينزل عليهم ربنا عذاباته وشر سخطه .

وهذا هو الطارد لشيخ الإسلام وغير شيخ الإسلام من علماء هذا الدين عن أن يقولوا هذا الوعد لليهود بالظهور مما يأتي ، تجنبا لهذا اللازم من تلك الآيات لما رأوا من تناقضه لعقيدتهم بحتمية ظهور الطائفة المنصورة وبقائها على مر الأزمان ، لكن الحق والصدق جانبهم وما قررته هو الصواب والله المستعان .

والمفارقة العجيبة أن ابن سبأ عليه لعنة الله كان أفقه بكتاب الله ووعده منهم في هذا الخصوص ، فقد صرح بذلك فيهم وأنكر بعضهم هذا عليه ، ولا أدري ما سيقولون فيَّ لذلك ، لكن تدرون الحق أحق بالتصديق والإتباع وليذهب العرب ومنافقي الملة للجحيم .

الفصـل الثالث

من ترجيحات ابن تيمية الباطلة على أصل قوله في تعيين الطائفة المنصورة

قوله على وفق هذا الأصل الفاسد بأن معاوية ومن معه هم الطائفة المنصورة ، وأن الباغية ما هم إلا نفر قليل في جيش معاوية والحكم للأغلب !! ، أما حكم هؤلاء القلة فلا ينافي كون معاوية وأهل الشام هم الطائفة المنصورة ! .

والذي جره لهذا التأويل الفاسد والتكلف الظاهر ، وهمه في إدراك حقيقة تأويل أخبار الطائفة المنصورة ، الذي جره بدوره لهذا المنكر من الاعتقاد المخالف لأخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام ، في أن عمار تقتله الفئة الباغية ، كذلك خبره عليه الصلاة والسلام في أن مدة الخلافة ثلاثون عاما ، وأيضا قوله عليه السلام في الخوارج كما رواه مسلم في الصحيح : (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين ، يقتلها أولى الطائفتين بالحق) .

وقوى ذلك عنده لما رأى من ظهور الشاميين على جيش علي بحسب إدراكه ، ما تعين معه عنده أنهم هم الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ .

وزاده افتتان بما قال أنهم من أهل الشام !! ، فظن بذلك أنهم المعنيين بالخبر ، وكان سبقه لهذا الفهم معاوية نفسه كما ورد في حديث يخامر ، وكل ذلك من الباطل والوهم على أخبار رسولنا عليه الصلاة والسلام .

وعلى حسب فهمه في ذلك ترجح لابن تيمية رحمه الله تعالى ما ترجح وأنه وفق للجمع بين الأخبار في ذلك فقال بما قال ، مع أنه لم يبالِ في سبيل ذلك ولو وقع بالتأويل المتعسف الذي طالما ذمه من غيره في غير هذا الباب ، فجاء مع ذلك ضعف قوله أن الحق مع علي ﷺ وأن إمامته هي الإمامة الشرعية ، وأن طائفة معاوية هم البغاة عليه ومن معه ، لما سلط على أوجه الحق في ذلك من قوارع بيانه ما أعاد ما لعلي منقبة لمعاوية وأهل الشام ، وما لأهل الشام ومعاوية منقصة لعلي وأهل العراق ، فجمع بذلك بين المتناقضات ولزم عليه فرعيتهم الأخرى الباطلة وهي صحة ولاية المتغلب ولو كان من كان ، مثل ما عليه معتقد المراق الأشرار اليوم في حكام السعودية ، واعتقادهم أنهم الفرقة الناجية الطائفة المنصورة بمجرد تغلبهم على البلاد وتحكمهم في الرقاب ، ظلمات بعضها فوق بعض نسأل الله السلامة في ديننا، ومن لم يجعل الله له من نور فلا هادي له ! .

قال رحمه الله تعالى : ثم إن هؤلاء الذين قاتلوه ـ يريد معاوية ومن معه ـ لم يخذلوا ، بل ما زالوا منصورين يفتحون البلاد ويقتلون الكفار . وفي الصحيح : (لا تزال طائفة من أمتي ..) قال معاذ : وهم بالشام . وفي صحيح مسلم عن أبي

هريرة مرفوعا : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة) . قال أحمد وغيره : أهل الغرب هم أهل الشام .

وهذا كما ذكروه ، فإن كل بلد له غرب وشرق ، والاعتبار في لفظ النبي بغرب مدينته ، ومن الفرات هو غرب المدينة ، فالبتيرة ونحوها على سمت المدينة ، كما أن حران والرقة وسميساط ونحوها على سمت مكة . فما كان غرب الفرات فهو غربي المدينة إلى آخر الأرض ، وأهل الشام أول هؤلاء والعساكر الذين قاتلوا مع معاوية ما خذلوا قط ، بل ولا في قتال علي اهـ .
(المنهاج 58/7) .

قلت : يلزم عليه أنها طائفة الأمويين فلم لم يضمن بقاؤهم وظهورهم لقيام الساعة كما هو ظاهر لفظ الخبر ، وأن يدركوا الدجال ويقاتلوه مع المسيح ، بل كبتوا على يد العباسيين ، مثل ما كبت العباسيين على يد غيرهم ! ، وهكذا ما رأينا طائفة ضمن الله لهم دوام النصرة منذ عهد معاوية ليومنا هذا ما يفيد أنهم ليسوا من الطائفة المنصورة وأخطأ كل من تأول لهم في ذلك شيء وأدخلهم في عموم معنى الخبر مثل ما زعم ابن تيمية وصرح به في موضع آخر فقال تعليقا على حديث مسلم : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة) . قال أحمد : أهل الغرب هم أهل الشام . وقد بسطنا هذا في موضع آخر ، وهذا النص يتناول عسكر معاوية اهـ . (المنهاج 462/4)

وهذا وهم كبير على ما قررت هنا ويلزم من ترجيحه الوقوع بالتناقض الشديد ، بل جر إلى أقوال منكرة مربكة في التصديق والإيمان ، مثل عودة ابن تيمية رحمه الله تعالى مع ما قال ورجح هنا للقول تارة أخرى أن القتال في زمان علي ﵁ في الجمل وصفين ما هو إلا قتال فتنة ، ومدح الممسكين عن القتال في ذلك الزمان مع عده طائفة معاوية هم الطائفة المنصورة ! وبذلك التزم على الطائفة المنصورة عنده أنها تقاتل في زمان الفتن التي حذر من القتال فيها رسول الله ﷺ وعد القاتل والمقتول فيها في النار ! ، وهذا هو لازم ما ذهبوا إليه وجمعوا له من تناقضات ومنها ما تقرر هنا .

وهو مذهب ابن عمر وعليه اعتزل ، وجرأ في نزاع ابن الزبير والأمويين فأنزل على قتلاهم وجوب دخول النار لقتالهم بالفتنة على حسب ما روي عنه ! .

وهنا فائدة عنَّ لي إيرادها بما أن ابن تيمية رحمه الله تعالى جمع ما بين ترجيحه في معاوية ومن معه أنهم الطائفة المنصورة ، وما بين ذمه لقتال عليٍّ ﵁ من نازعَه من الصحابة وهو إمام وجبت طاعته ، فمدح المعتزلين على ذلك وصوب فعلهم على رغم أنه على خلاف مذهب معاوية نفسه ! ، فقد كان يوجب القتال معه ضد علي ويحمل أمر كل المعتزلين على التشيع ! ، جاء ذلك في معارضته لما روى وائل بن حجر يرفعه لرسول الله ﷺ قال وائل : حضرت رسول الله وقد رفع رأسه نحو المشرق ، وقد حضره جمع كثير ، ثم رد إليه بصره فقال :

أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فشدد أمرها وعجله وقبحه ، فقلت له من بين القوم : يا رسول الله وما الفتن ؟! ، فقال : يا وائل إذا اختلف سيفان في الإسلام فاعتزلهما .

فقال معاوية : أصبحت شيعيا ؟ قلت : لا ولكن أصبحت ناصحا للمسلمين .
(الطبراني في الصغير 286/2) .

وفي هذا خلاف ما ترجح عند ابن تيمية والمعتزلين للقتال مع علي ﷺ بعدما ولي وبويع إماما عاما للمسلمين في ذلك الوقت ، ولازم اختيار ابن تيمية هنا التناقض لا شك في ذلك حسب ما هو ظاهر .

وهو قول الأكثر : تصويب من اعتزل القتال مع علي ﷺ ، من أهل السنة كانوا يرونه المذهب الأحق بالإتباع وقد وهموا في هذا وهما عظيما ، وأنزلوا على تأويل ذلك ما ليس له ، مثل ما أنزل ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره في تأويل الطائفة المنصورة على غير مستحقي هذا الوصف في الخبر .

وقد جرأ سفيان الثوري فيما حسبه معتقدا راسخا لا مدخل عليه فقال : لو أدركت عليا ما خرجت معه . (الخلال 138) .

ومذهبه في ذلك اشتراط اجتماع الناس على الإمام حتى يصح القتال ! ، حتى غلا فقال مقولته المشهورة : وإن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس !! .

ثم جاء بما لا تأويل له به فقال في صفين : لا أدري أخطـــأوا أم أصــابوا .
(سؤالات الآجري أبي داود في الجرح والتعديل 94)

وهذا من جمع التناقضات في المعتقد ، حتى زاد فيما حكي عنه قوله : لا أقاتل إلا مع نبي .

وصاحب هذا القول أراه لم يكن يرى عليه إمامة ولا جهاد ، فإن كان يرى إمامة المنصور العباسي ودولتهم مثل ما عليه أحمد وغيره ففي هذا منتهى التناقض ، وأسفي أن يقع هذا من مثله رحمه الله تعالى .

وكل ما أعملت الفكر في سيرة هذا الإمام أجزم أنه لم يرى ولاية بني العباس لعدم تحقق شرطه وهو الاجتماع ، وهذا سر شدته في أمرهم حتى شبه طعام أمرائهم بطعام الدجال !! ، ويعد متناقضا لاعتقاده رغم هذا وجوب صلاة الجمعة والعيدين خلفهم ، وهذا اضطراب في عقيدته ولا شك .

وكم كان ينكر على الحسن بن صالح بن حيي لمخالفته ما كان يذهب إليه وكان يحتج بقوله : نأخذ بقول عمر في الجماعة ، وبقول ابنه في الفرقة .
(السنة للخلال 138)

ومذهب ابن عمر ﷺ معروفٌ في هذا : لا أعطي بيعتي في فرقة ولا أمنعها في جماعة .

جاء هذا عنه فيما رواه البيهقي في السنن عن أبي العالية البراء قال : طاف ابن عمر بالبيت وابن الزبير وعبدالله بن صفوان جلوس في الحجر ، فلما قضى طوافه أرسلوا في طلبه ، فلما جاء قال له ابن صفوان : ما يمنعك أن تبايع أمير المؤمنين ـ يعني ابن الزبير ـ ، فقد بايع له أهل العروض وأهل العراق وعامة أهل الشام !! ، فقال والله لا أبايعكم وأنتم واضعوا سيوفكم على عواتقكم تصبب أيديكم من دماء المسلمين .

وفي رواية سعيد بن حرب العبدي أنه قال : والله ما كنت لأعطي بيعتي في فرقة ولا أمنعها من جماعة . (السنن للبيهقي 192/8)

وذكر أحمد رحمه الله تعالى عن أبي بكر بن عياش : ما بقي أرض إلا ملكها ابن الزبير إلا الأردن !! . (الخلال 523/1) وراجع (التهذيب لإبن حجر 213/5)

انظروا ورغم هذا لم يبايع ابن عمر ابن الزبير ، وفي هذا أبلغ حجة على كلاب القراء في زماننا إذ أنهم على وفقه ليسوا على مذهب أياً من السلف فيما هم عليه من أحكام في ولاية هؤلاء الأشرار أمراء آخر الزمان .

فقد أوجبوا بيعتهم في الفرقة وهو خلاف ما كان عليه سلفنا الصالح ، وفي ذلك من الفساد والتناقض لحقيقة الجماعة بما يعد من أكبر محدثاتهم البدعية وضلالاتهم الخفية التي ألبسوها لبوسا شرعيا ، والشريعة ومذهب السلف من ذلك كله براء .

ومع عظم جرمهم هذا القبيح قال كبيرهم في الضلالة ابن باز الأعمى : أخطأ ابن الزبير اهـ . يريد في نزاعه مع بني أمية ، على ما هو فيه من تصويب لفاسد مذهبه وعقيدته في حكم الولاة ! ، فانظروا للمتبجح الضال المبتدع كيف يقول في ابن الزبير ، وانظروا لحاله وحال ولاته من فرقة وتشتت وعدم شمولية حكمهم مثل ما شمل حكم ابن الزبير وبويع له ، زد على ذلك أنه صحابي من قريش ، وهؤلاء خبثاء من ذاك التيس ، فهل يستوي مع هذا الجهل والضلال نسبة ما هم فيه لمذاهب السلف ، لا والله ولا يزعم ذلك إلا هالك ساع في فتنة مثل ما عليه الحال اليوم مع هؤلاء الملاعين (البريك) و (القرني) .

وأزيد على ما تقرر سابقا وأقول :

هم مخالفون أيضا لما ذهب إليه ابن عمر ﷺ حين أبى مبايعة يزيد في حياة معاوية ، إباءً شديدا ! ، وكان يقول : لا أبايع لأميرين !! . (2)

(2) وهؤلاء قالوا بالبيعة لكل أمراء آل سعود وأطفالهم بآلافهم فلكل هؤلاء وجبت البيعة ، وتجوز بعضهم وغلا بإيجاب هذا فقال : لو وليتنا منهم عجوز شمطاء لعدلت في حكمنا ! .

ونراهم أجمعوا على هؤلاء في حكمهم وزعموا له مسوغا شرعيا وأدلة قطعية !! ، وكذبوا بل هي فتنتهم العمياء.

وذكر أحمد رحمه الله تعالى عن أبي بكر بن عياش قال : لم يبايع ابن الزبير ولا الحسين ولا ابن عمر ليزيد بن معاوية في حياة معاوية ، فتركهم معاوية . (الخلال 520/1)

ولما مات معاوية بادر ابن عمر لبيعة يزيد جبنا ولم ينتظر حتى تكون جماعة ، لم ينتظر مثل ما انتظر في ولاية علي ﷺ ، مثل أنه لم ينتظر مثل ما انتظر بعد يزيد وتحقق نزاع بني أمية مع ابن الزبير على الرغم من تسليم جميع المسلمين لإبن الزبير بالطاعة ما خلا الأردن من الشام ! ، ومع هذا توقف ولم يبايع لإبن الزبير ، على عكس الأمر بعد القضاء على ابن الزبير حينها فقط بادر لبني أمية بالتسليم والطاعة ! ، ولا نعيبه في هذا إلا مثل ما عاب عليه والده العادل ﷺ لما شاروا عليه بتولية ابنه بعده ، فكان منه أن زجر من قال بذلك وقال مقولته المشهورة : كيف أولي من لم يحسن يطلق امرأته ! .

أما ابن الزبير والحسين بن علي رضي الله عنهما فلم يفعلا مثل ما فعل ابن عمر ، فكان من الحسين ما كان ، ومن ابن الزبير ما كان لما رأى له الأهلية بالولاية أولى من يزيد فهو صحابي مدرك ، ومع هذا يقول هذا الضال بازي الريال ما يقول في ابن الزبير على الرغم مثل ما قلت سابقا من واقعهم التعيس وشدة مخالفتهم لمذاهب من سلف على ما رأيتم في هذه النقولات ، وابن الزبير كادت أرض المسلمين كلها تسلم له بالإمامة ! .

أما هؤلاء من سلم لهم بالولاية ؟ ، بمباركة أميركا وعالمهم العلماني المعاصر شديد الفساد ، ما سلم لهم إلا هؤلاء المنافقين السوقة الأشرار من شذاذ القبائل وصعاليك نجد والحجاز الذين لا يعرفون من الدين معروفا إلا ما عرفه آل سعود ، ولا ينكرون من الدين منكرا إلا ما أنكره آل سعود ، يدينون لهم بالطاعة على رغم عصيانهم والرسول ﷺ كان يقول : (لا طاعة لمن عصى الله تعالى) .

وهؤلاء عصوا الله تعالى جهارا نهارا فأطاعوهم ، يسوقهم أشر قراء عرفتهم الدنيا لهذه الهلكة ، يزينونها لهم بزعمهم أن هذا ما عليه السلف ، وكذبوا ورب الكعبة بل هذا ما عليه أقوام مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ، طاعة فيما عصي الله .

وكان سبب ما حصل من ابن الزبير والحسين رضي الله عنهما بعد موت معاوية ، ما أمر به يزيد حين كتب لأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : خذ حسينا وابن عمر وابن الزبير بالبيعة ، أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام . (ذكره ابن كثير 146/8) فكان منهما ما كان على ما ذكرت سابقا .

أما ابن عمر ﵁ فأزيد في شأنه وأقول : بعد موت يزيد لم يبايع ابن الزبير مع المطالبة الملحة من شورى ابن الزبير وأمرائه ابن عمر بذلك ليتم أمر الجماعة وتأتلف على الوحدة بطاعة هذه الإمامة ولا أن يبقى الناس كما الجاهلية من غير إمام ! ، وهذه هي السنة .

لكن ابن عمر كان يصر بالرفض بحجة تحقق الفرقة ! ويقول : لا أعطي بيعتي في فرقة .

مثل ما فعل مع علي رضي الله عنه ! .

مع التزامه الصلاة مع ابن الزبير ومخالفيه ، بل حتى الخوارج ! ، وكان يقبل اعطيات الهالك " المختار " وإذا وافق من أمرائهم أميرا صلى خلفه ، على عكس ما فعله ابن عباس فقد أقام سنتين لم يبايع أحدا واعتزلهم كلهم ! .

ومثله ابن الحنفية اعتزل وكان يقول : لما رأيت الناس اختلفوا اعتزلتهم حتى يجتمعوا ، فآويت إلى أعظم بلاد الله حرمة . (ابن سعد 110/5)

قال زيد بن أسلم : أن ابن عمر لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله . (ابن سعد 193/4)

وقال لابن مطيع في الصدقة : أدها لابن الزبير فإنك لم تؤمر أن تدفعها إلا إليهم ، بر أو أثم . (مصنف عبدالرزاق 45/4)

يفتي بهذا ! ، ومع هذا ما كان ليسلم له بالبيعة ويشدد في نزاعه ومقاتلته مع الحجاج ويقول لمن استفتاه بالقتال مع أيهم : مع أي الفريقين قاتلت فقتلت ففي لظى ! . (المستدرك للحاكم 471/4) و (الإبانة 741/2)

وعلى مذهب ابن عمر هذا كان مسير سفيان الثوري وعليه قلت ما قلت فيه سابقا .

حكى الخلال عن أبي بكر المروزي في السنة : أن رجلا أتى سفيان في زمن هارون فقال له : إن هذا الرجل قد خرج وأظهر ما ترى من العدل فما ترى في الخروج معه ؟ فقال له : كفيتك هذا الأمر ونقرت لك عنه ، اجلس في بيتك ! . (الخلال 137)

وهذا صريح منه أنه لم يكن يرى للعباسيين ولاية على مذهب ابن عمر ، وقد صرح بتفضيله لما عليه ابن عمر ، وعليه خرج قوله بعدم المقاتلة مع علي لو كان مدركا لعهده ! ، ذكرت هذا عنه آنفا .

والحق الذي لا مرية فيه فساد مذهب الثوري لتأسيه بفاسد مذهب ابن عمر لسبب قد لم يتفطن له أحد حسب ما تقرر هنا وأحسب أني لم أسبق إلى تقريره على هذا النحو ، فأنا أول سني علم الله يجرأ عليهم بهذا والحق احق ان يتبع عقيدة وإعلان ، وأولى أن يتقى الرحمن لا عباده في دينه .

ولا أعتقد يخالفني منصف عاقل في نقد مذهب سفيان هنا ولو كان على ما حسب الناس في أهل السنة ويعد كل من اتى بعده مقلدا له ليومنا هذا منهم ، فبطلان قوله ظاهر ومعتقده بخصوص أمر علي ﵁ والمهدي عليه السلام .

وذلك أن ابن عمر نفسه ﷺ عاد وقال بمرجوحية ما كان عليه عليٌ ، وأنه كان من الأولى أن يقاتل معه ولم يعتزل ، فبقى على هذا سفيان لوحده من دون ابن عمر !! .

روي عنه قوله في هذا الخصوص : لم أجدني آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي . (ذكره الهيثمي 245/7 وقال رواه الطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح)

وهذا إن صح عنه سيعتبر نقضا لمذهب ابن عمر على الثوري في الفرقة ، وهو من المذاهب التي كان يقول بها أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ويعتز بها تقليدا للثوري ، ويقول : الثوري أحب لنا في هذا ، وهو أتبع للسنة .

ويشهد لهذا المعنى أيضا ، أعني في نقض مذهب ابن عمر على سفيان الثوري في الفرقة ، ما رواه الزهري رحمه الله تعالى عن حمزة بن عبدالله بن عمر قال ، قال ابن عمر : ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الأمة ما وجدت في نفسي أني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل .

قال البيهقي : زاد القطان في روايته : فقلنا له ومن ترى الفئة الباغية ؟! ، قال : ابن الزبير ، يعني على هؤلاء القوم فأخرجهم من ديارهم ونكث عهدهم .
(الخلال 172/8) وذكره الحافظ من (تاريخ سفيان 72/13)

فانظروا لما كان عليه ابن عمر من اضطراب في هذا الباب لتوقنوا ضعف مذهب الثوري ومن ورائه أحمد بن حنبل وكل من قلدهم من بعدهم ، وعلى هذا من يعدون رؤوس مذهب أهل السنة من المتأخرين والسابقين ، وبناءا عليه كان تمنع أحمد الشديد في وجه فقهاء بغداد لما حصل من أولياء بني العباس ما حصل في حمل الناس على الكفر بقولهم أن القرآن مخلوق وما جر ذلك على العلماء من تشريد وقتل أو حبس واضطهاد حتى نال أحمد نفسه من ذلك ما نال .

كان رحمه الله تعالى يقف في وجه استنهاض الناس للخروج عليهم اعتمادا على ما سبق وله في ذلك تناقض إذ حين ينكر على من يريد الخروج عليهم ويجتهد يثنيه عن ذلك ، كان يترحم على من خرج عليهم وعلى رأسهم المروزي أحمد بن نصر ، خلاف ما عليه حال هؤلاء الكلاب من قراء السفه آخر الزمان ، فهم غلاة ضلال في هذا الباب ، لا هم على مذهب الحنبلي أحمد ولا الثوري ! ، ولا ابن عمر نفسه ، شذة الشاة التائهة في ظلمة الليل الحالك صادفت ذئبا جائعا فأكلها ولا منقذ .

وخلاصة القول في مذهب ابن عمر زمن علي ﷺ أنه كان مجانب للصواب فيما فعل ولذا روي أنه عاد للقول الصواب في ذلك حسب ما نقلت سابقا ، بل أسف أنه لم يقاتل ابن الزبير !! ، وهذه بلية وربي عظيمة ، فابن الزبير كان أولى بالنصرة ممن خالفه لما كان عليه من إجماع لم يكن يقاربه من نازعه بالحرب حتى روي ان رأس المروانية هم ببيعته حتى قارب المدينة في طريقه لمكة ولما نصحه

أحدهم بطلب الأمر لنفسه عاد للشام وأظهر النزاع لابن الزبير ، وابن الزبير صحابي ومن نازعه دونه ومع هذا صار في بلية أهل السنة ما صار بمباركة ابن عمر وامثاله الذي رفض توليته والده ﷺ الملهم وقال فيه ما قال .

وما يهمني هنا هو تراجعه عن ترك الأمور معلقة ، فمن ركب وغلب صار إمام الناس وتسبب في تأصيل هذا المذهب الفاسد في الناس بناء على ما قلت في اختياراته مع علي وابن الزبير ! .

وهذا مذهب فاسد ولا شك مثل ما قلت ولي السبق في تقرير هذا وتأصيله ولا فخر فالحق احق ان يتبع وإن رغمت انوف الخلق كلهم لا احابي احدا ولا أداهن ولو قطعت رقبتي .

وهذا المذهب الفاسد لا زالت الامة تجرجر أذيال الخيبة فيه ، وعليه اجماع الحمقى المتأخرين خصوصا حنابلة السفه منهم ، وعلى وفقه أقروا في الناس ولايات الشر والنفاق آخر الزمان عليهم من الله ما يستحقون لما أفسدوا من دين الله تعالى وأحكام شريعته .

والخلاصة هي : أن كل من اعتزل من أصحاب رسول الله ﷺ ، كانوا على قسمين :

الأول : من كف يده عن القتال والصلاة ولم يرو بيعة ، كالسعد وابن مسلمة وغيرهم كثير .

الثاني : لم يرى البيعة والقتال ، لكنه لم يمتنع من الصلاة ومخالطة الناس في الجمعة والعيدين ، كابن عمر وأبي موسى الأشعري .

وكل هؤلاء اعتقدوا تحقق الفرقة الموجبة لما فعلوا من كف اليد واللسان والامتناع عن البيعة ، وقد جانب الجميع الصواب في ذلك بعد انعقاد البيعة لعلي وقبول إمامته ممن حضره من أصحاب مُحَمَّد ﷺ ، مثل ما جانبه هو نفسه الصواب والشهادة لله هنا ، وذلك حين قبل بعد امتناع والوقت كان وقت نزاع وفتنة ! وما كان الناس ليقدموا عليه أحدا لو اجتمعوا ، فكان من الحكمة التريث وهو موقفه الابتدائي لحين إلزام الناس ما يلزموا به أنفسهم جميعا ، ليتم الأمر على وجهه ولا يبقى للئيم مدخلا على خلافة المسلمين ولا حوزتهم .

لكن لما تسرع بعده أهل المكيدة والمكر فحصل ما حصل .

أما عثمان رضي الله عنه ، فذاك الإمام الأكبر المظلوم ، وهو أزكى من كف يده على مقدرة ، وخشى الهرج على الأمة أشد ما خشى عليها رضوان الله تعالى عليه من إمام زكي ، وأسكنه المولى عز وجل فسيح جناته لما جاد بنفسه وسلطته درءً للفتنة وإراقة الدماء .

ومهما يكن من فعل الصحابة في تلك النزاعات التي توهم فيها من توهم منهم ، خصوصا رواة أحاديث فتن آخر الزمان حين أنزلوها على وقتهم ، وأخصهم بهذا حذيفة وسعد وأبي موسى الأشعري ﷺ جميعا وعلى وفق هذا الاختيار الغير موفق قالوا بالاعتزال وابطال من ناصر علي ﷺ والتزم إمامته .

لكن يبقى على الرغم من هذا أن المتأخرين من حنابلة السفه ومقلدتهم اليوم ليسوا على ما كان عليه السلف في الفرقة والاختلاف مهما زعموا أنهم على مثل ما عليه أحمد أو الثوري أو ابن عمر وغيره من الصحابة ، بل هؤلاء المتأخرين مذهبهم محدث مخالف لإجماع السلف وقد بينت هذا في كتابي (تعبيد الموارد) ليراجعه من شاء .

وأظهر شيء في بيان عدم موافقتهم لما عليه السلف مخالفتهم لفعل ابن عمر في زمنه حين امتنع من بيعة ابن الزبير وقبله علي ، لانتفاء قيام أمر الجماعة عنده .

كذلك امتنع عن بيعة يزيد في حياة معاوية ، وهؤلاء الأشرار قراء النفاق على خلاف كل ذلك ، فهم مقرين بالبيعة لولاة الردة والنفاق جميعهم على اختلاف دولهم وأحزابهم !! .

كما يقرون بالبيعة لنوابهم ولعوائلهم ، وكل حاكم جعل الولاية في أسرته وبالنية لقيام الساعة أقروه على هذا ! ، ومن نازعهم فهو خارجي ، أما إن غلب فهو

شرعياً متغلب ، وهكذا خذ من سقط المذاهب وخبالات العقول على حساب أصول الشريعة المحكمة في كيف تكون الجماعة .

قال نافع : بعث معاوية إلى ابن عمر مائة ألف درهم ، فلما دعى معاوية إلى بيعة يزيد ، قال : أترون هذا أراد ؟ أن ديني إذا عندي لرخيص . (البيهقي 159/8)

فانظر لحال قراء اليوم من حنابلة السفه على ضوء ما كان عليه ابن عمر ، إنهم باتوا بلاعات الريالات السعودية وما أرخص الدين عندهم أن يبيعوه بدنيا زائلة ، نسأل الله تعالى زوال دجلهم هذا قريبا على يد المهدي ، يحرمهم من سيئات مقاصدهم وما الجزاء العادل إلا بإفساد ما حرص عليه المبطل الأشر وحرمانه منه ، وكم أفسدوا بهذا خلق في دين الله حتى تركوهم في جهل مطبق لا يهتدون ولا يعون من الحق شيء .

وآخر محدثات السفهاء منهم قولهم وعملهم وجدهم وإخلاصهم في تأليف الجماعة على الولاة في فتنهم التي نرى ، ومنها فتنة هرج الحدثاء السفهاء من أتباع (الشعيبي والخضير) . فعليهم لعائن الله تعالى تترى ، وهل استقام أمر ولاتهم شرعا ، حتى يضطروا دينا لتأليف الناس عليهم ، وهذا منتهى الظلم والجهل والتلبيس على الناس ، والإفتراء العظيم على الشريعة ومذاهب من سلف .

قال ضبيعة بن حصين التغلبي - ويقال ثعلبة بن ضبيعة - : لما كانت الفتنة خرجت فيمن خرج من الناس فأتيت أهل ماء فإذا بفسطاط مضروب مُتَنَحي

تضربه الرياح ، فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟ قالوا : لمحمد بن مسلمة ، فأتيته فإذا هو شيخ فقلت له : يرحمك الله أراك رجلا من خيار المسلمين تركت بلدك ودارك وأهلك وجيرتك ، قال : تركته كراهية الشر ! ، ما في نفسي أن تشتمل علي مصر من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت . (ابن سعد 444/3) و (الحاكم 433/3) وراجع (المزي في تهذيب الكمال 258/13) و (رواه أبو داود باختصار)

وكل هذا منه ﷺ عملا بما روى عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من أحاديث في الفتن ، ولما رأي من أمر الناس ما رأي بعد مقتل عثمان وظن أن هذا ما أخبر عنه رسول الله اعتزل .

ومن تلك الأخبار قوله : قال رسول الله ﷺ : (ستكون فتنة في أمتي وفرقة واختلاف فإن أدركت شيئا منها فالحق بالربذة وكن رب معيزة حتى تقتلك يد خاطئة أو منية قاضية) .

وعنه من رواية زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ : (إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا ، فاكسر سيفك ثم اجلس في بيتك) . (الصغير للطبراني 247/1)

وقال له في عزلته أبو بردة : رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت ، فامتنع لخبر رسول الله ﷺ !! . راجع (ابن سعد 444/3) و (الحاكم 433/3) و (ابن بطة في الإبانة 578/2) و (الداني 357/2)

هذا فهم مُحَّد بن مسلمة وحذيفة يروي أنه لن تضره الفتنة ويزكيه ، وهم من السلف ﷺ فهل هؤلاء الحثالة على هديهم ؟! ، أبدا بل هم يجرون في الفتن جري السلق كل يقول هذه غنيمتي ويبرر لنفسه من تلبيس رؤوس الجهل والضلال .

واعجبوا في الاعتزال من أمر حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ، فذاك لم يعتزل بعد مقتل عثمان ، بل اعتزل بحياته ﷺ لمجرد أنه سُب بالكوفة هجر الكوفة واعتزل الناس فيها ثم خرج إلى قرقيسيا ، وقال :

لا أقيم ببلد يشتم في عثمان . وتوفي بعد ذلك وهو معتزلا ، وكان يقول :

عجبت لما يخوض الناس فيه *** يرومون الخلافة أنْ تـزولا
ولو زالت لـزال الخير عنهـم *** ولا قوا بعدها ذُلاًّ ذَليـلاً
وكـانوا كاليهود أو النصـــارى *** سواءٌ كلُّهم ضَلّوا السَّبيلاً

(المزي 440/7)

فانظروا إخواني لحال هذا الصحابي وإنكاره ما أنكر واعتبروا بحال معاصريكم ومدى بلوغ الشر في نفوسهم حتى استحكم الشيطان بها وسوغ لهم الصد عن خلافة الله في الأرض ، أن يقيمها الله تعالى على ما يحب ويقدر ، ويبعث من يبشر بها ، ألا ترونهم بهذا على سنة الجاهلية أو النصرانية أو اليهودية ، في كراهة الحق الذي ارتضاه الله تعالى ؟ .

وممن اعتزل من صحابة رسول الله سلمة بن الأكوع ﷺ قال البخاري في كتاب الفتن : باب التعرب في الفتنة .

فذكر فيه عن يزيد بن أبي عبيد قال : لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولادا ، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال ، نزل المدينة .

قال الحافظ ابن حجر : يستفاد من هذه الرواية مدة سكن سلمة البادية وهي نحو الأربعين سنة ! اهـ .(الفتح 40/13)

وهذا زمن طويل جدا يدل على طول مدة التزام بعض الصحابة لحكم الاعتزال على الرغم من زوال أسباب الخلاف الأول ومع هذا داموا على اعتزالهم ، وفي هذا خلاف ما عليه المتأخرين الجهلة من شدة النفرة وكراهة الاعتزال عند الاختلاف والتفرق .

الفصـــل الرابع

قول ابن تيمية بدوام وجود الطائفة المنصورة وظهورها بالسنان مأثور عن بعض الصحابة

لقد توهم ابن تيمية رحمه الله تعالى في القول بتأويل خبر الطائفة المنصورة وظنه أن وجودها على الدوام ، مثل ما توهم في ذلك قبله بعض أصحاب مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم على هذا الأصل فقالوا على وفق ذلك بالظن على أخبار رسول الله ﷺ في الطائفة المنصورة بأقوال غير صحيحة .

وعلى رأس هؤلاء الفاروق ﷺ حين بلغه إخبار عبدالله بن عمرو بظهور العجم على العرب فأكبر ذلك وعارضه بخبر الطائفة المنصورة ! ، وخطب في ذلك من على المنبر .

روي ذلك عن أبي الأسود الديلي ، قال : انطلقت أنا وزرعة بن ضمرة مع الأشعري إلى عمر بن الخطاب ، فلقينا عبد الله بن عمرو ، فجلست عن يمينه وجلس زرعة عن يساره ، فقال عبد الله بن عمرو :

يوشك ألا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيل ، أو أسير يحكم في دمه .

فقال له زرعة بن ضمرة :

أيظهر المشركون على أهل الإسلام ؟ قال : ممن أنت ؟ قال : أنا من بني عامر بن صعصعة .

قال : لا تقوم الساعة حتى تتدافع مناكب نساء بني عامر بن صعصعة على ذي الخلصة . فذكرنا لعمر بن الخطاب قول عبد الله بن عمرو فقال عمر بن الخطاب ثلاث مرار : عبد الله أعلم بما يقول .

قال فخطب عمر بن الخطاب يوم جمعة ، فقال : إن نبي الله ﷺ كان يقول : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله) . قال فذكرنا لعبد الله بن عمرو قول عمر فقال : صدق نبي الله ، إذا جاء ذاك كان الذي قلت .
(رواه الطبري في تهذيب الآثار)

ولفظه عند الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن أن ابن عمرو قال : يوشك ألا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيل ، أو أسير يحكم في دمه . فقال زرعة : أيظهر المشركون على أهل الإسلام ؟ قال : ممن أنت ؟ قال : أنا من بني عامر بن صعصعة .

فقال : لا تقوم الساعة حتى تتدافع نساء بني عامر على ذي الخلصة .

قال : فذكرنا لعمر بن الخطاب قول عبد الله بن عمرو فقال عمر بن الخطاب ثلاث مرار : عبد الله أعلم بما يقول ، فخطب عمر بن الخطاب ﷺ يوم الجمعة

، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله) ، قال : فذكرنا لعبد الله بن عمرو قول عمر فقال : صدق نبي الله ﷺ ، إذا جاء ذاك كان الذي قلت .

ونظيره إنكار عقبة على ابن عمرو إخباره أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، فعارض عند سماعه هذا بخبر الطائفة المنصورة أيضا ، يريد دوام وجودها ! .

رواه مسلم رحمه الله تعالى بإسناده عن عبدالرحمن بن شُمَاسة المهري قال : كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبدالله بن عمرو بن العاص . فقال عبدالله:

لا تقوم الساعةُ إلا على شرار الخلق . هم شرٌّ من اهلِ الجاهلية . لا يدعون الله بشيءٍ إلا ردَّهُ عليهم .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل عقبة بنُ عامِرٍ . فقال له مسلمةُ : يا عُقبَةُ ! اسمع ما يقولُ عبدُ اللهِ . فقال عقبة : هو أعلَمُ . وأما انا فسمعِتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعَةُ ، وهم على ذلك) . فقال عبدالله : أجل . ثم يبعث الله ريحا كريحِ المِسْكِ . مسها مس الحرير . فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبةٍ من الإيمان إلا قبضته .

ثم يبقى شرارُ الناس ، عليهم تقوم الساعة .

ومثله أيضا إنكار عمرو بن العاص على المستورد بن شداد إخباره عن رسول الله ﷺ أن : الساعة تقوم والروم أكثر الناس .

رواه مسلم رحمه الله باختصار مخل ورواية احمد وغيره أتم .(راجع وجوب الاعتزال 183/1)

وكل هذا جار على ما تأصل عندهم في بقاء وحتمية ظهور الطائفة المنصورة بالسنان والحرب إلى قيام الساعة فهما بالخطأ على أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم في الطائفة المنصورة ، واعتبارهم خلاف ذلك إنما يعارض أصل من أصول الإسلام " وهو تكفل الله تعالى بإظهار الدين على سائر الأديان " وعلى وفقه افترض ابن تيمية لذلك المستحيل حين زعم أن هذا لن يكون ـ أي ظهور النصارى على كافة المسلمين ، وسبق وتقرر ذلك عنه ـ إلا والمسلمين على الكفر ، والنصارى على الإيمان ! .

ومثله توهم عائشة رضي الله عنها في ظهور الإسلام وأنه على التأبيد ما دامت عين تطرف على وجه الأرض ، نقل ذلك عنها في خبر استنكارها عودة الناس لعبادة الأصنام لقوله ﷺ : (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) . فقالت : يا رسول الله ! إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أن ذلك تام ،

فقال : (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم) . (راجع رفع الإلتباس ص 21 الفصل الأول)

وهكذا مثل ما هناك من منع من ظهور النصارى على العرب بحجة بقاء الطائفة المنصورة ، وكذلك ظهور العجم على العرب بحجة ايضا بقاء هذه الطائفة ، هناك كذلك من منع واستشكل عودة الناس للشرك بحجة بقاء الطائفة المنصورة .

بل هناك من استشكل قبض المصطفى ﷺ نفسه بذات الحجة ، ولأن دينه لم يظهر بعد فكيف يقبض والأمر على أوله ؟! ، وتلك كانت حجة كل الصحابة الذين عارضوا القول بأنه توفي فعلا ومنعوا من دفنه لأجل ذلك .

وهكذا كان الأمر عند الأولين اعتقاد حتمية بقاء الطائفة المنصورة وظهور الدين بها وبالعرب حتى ما يظهر عليهم نصارى ولا عجم ولا مشركين إلى قيام الساعة ، وعلى مثله بقى مقلدة المتأخرين غباء منهم وبلادة إذ لم يلحظوا واقعهم المعاش وتحقق ظهور النصارى عليهم ظهورا عاما ، وكذلك العجم ، بل باتوا شراذم متفرقين لم يرى مثل هوانهم على الناس قط على مر الأزمان مثل ما هو متحقق الآن .

وهكذا استحق كل من عاش بلا عصبة ولا رأس ولا شوكة تحمي دينهم وجمعهم ، أن يذهب الله ريحهم ويشتد هوانهم بين الناس ، وهم كذلك اليوم.

كذلك لم يلحظوا بعين البصيرة الحكمة من وراء أمر المصطفى ﷺ باعتزال المؤمن الناس والفتن آخر الزمان ، مع تأكيده وبشده على أمر فتن آخر الزمان وكثرة الهرج حين ذاك واختلاف الناس ، وكل عاقل يدرك ان الأمر بالاعتزال مناف للأمر بالاجتماع وناقض لحكم قتال الجهاد ومع هذا أمر به المصطفى ﷺ أمرا لا يفيد غير الوجوب ، ومن شدة ضلال هؤلاء وجهلهم عجزوا عن التوفيق بين هذا وذاك حين وقوع الفتن وكثرة الاختلاف ، وإلا حمل أمر المصطفى ﷺ في كل ذلك وإخباره على التناقض والاضطراب وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، بل لم يخبر ويأمر إلا بالحق لكن أكثر الناس يجهلون ، ولذا نراهم لما لم يوفقوا لحكم الشرع في ذلك ما زالوا في تخبط واضطراب شديد في دينهم وعلمهم وعقيدتهم حتى نبذهم الناس وركبهم العباد وسلط عليهم القتل أو الحبس أو الطرد والتشريد ، وباتوا فوق ذلك أذلة مستضعفين في كل مكان .

وحقيقة الأمر ومداره على ما قررت هنا وفي غير هذا الكتاب ، أنه حين وقوع الفتن واشتداد اختلاف الناس آخر الزمان ليس للمؤمن إلا ما أمر به المصطفى ﷺ الذي هو أعلم بما يرضي الله وأعرف بما يكون والخير أين يأول ، يوم يكون المؤمنون قليل مستضعفون ، لا طائفة ظاهرة لهم ولا شوكة ، ولا قوة تحميهم يقيمون بها دينهم ويذودون بها عنه ، وهناك فقط أمروا بالاعتزال وكف اليد

واللسان أيضا ، وقد أجاب ﷺ بهذا اكثر من صحابي حين استأمروه بما عليهم فعله إن أدركوا ذلك فكان يأمرهم بما قلت ، وكل من حمل الامر على غير هذا النحو فقد افترى وزعم ما لا علم له به ، بل ناقض وخالف ما أمر به المصطفى ﷺ وأخبر .

وعلى وفق هذه المنقولات عن بعض الصحابة في تأويل أخبار الطائفة المنصورة وظنهم حتمية وجودها الدائم ، جرى ابن تيمية وغيره من أئمة السنة رحمهم الله تعالى حتى يومنا هذا على ما قلت تقليدا ، وإلا لو أمعن النظر من هو مثله وجمع ما بين دلالة الأخبار وتحرى المخرج الممكن الصحيح للجمع بين كل ذلك علم حينها يقينا استحالة تحقق ما فهموا من تلك الأخبار ، ولو لم يكن إلا أخبار رسول الله ﷺ فيما يناقضها من أحاديث الفتن والافتراق وأمره بالاعتزال لكفى هذا في بطلان فهمهم لتلك الأخبار ، فما بالكم في وقتنا وما آلت إليه أمور هؤلاء الرعاع من حثالات البشر ؟ ، من ذل وهوان على الأمم حتى بات دينهم وشريعتهم هباء بين أديان الأمم وشرائع مللهم الباطلة ، إنه الغرور وجهل أخبار المصطفى ﷺ .

وأغرب شيء وأعجبه في هذا الباب هو اعتقاد الكثير قديما وحديثا أن الطائفة المنصورة ما هم إلا المدعين أنهم من أهل الحديث ! ، مع أن هؤلاء ليسوا من أهل الحرب ولا لهم في شأنه نواة ولا قطمير ، ومع هذا صدَّق من صدَّق أنهم معنيين بهذا الخبر .

والمؤسف هنا أن ابن تيمية على هذا الظن فيهم حتى قال مقولته المتطرفة المتهورة في ذلك : لم يجتمع أهل الحديث على خلاف قوله في كلمة واحدة ! ، والحق لا يخرج عنهم قط ! ، وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول ، وكل من خالفهم من خارجي ورافضي ومعتزلي وجهمي وغيرهم من أهل البدع ، فإنما يخالف رسول الله ! ، بل من خالف مذاهبهم في الشرائع العملية كان مخالفا للسنة الثابتة !! اهـ . (المنهاج 166/5)

بل قالوا بالباطل في أخص ما عندهم وأعزه باب صفات المولى عز وجل [3] ، فما بالك بسواه وما هم إلا كسائر الناس لا يجوز الغلو فيهم ، وهذا قولي في المتأخرين فما بالك بالمدعين أنهم منهم وليسوا منهم ، أولئك الكذبة من المنافقين ممن تعلق بأهداب دولة الكفر والردة والنفاق آل الطرطور وغيرهم وما أكثر طراطيرهم ، زمرة المرتزقة الدجالين الذين هم آكد في مخالفة الحق في الكثير من أمور الدين سواء في أبواب الأسماء والصفات من أبواب العلم ، أو في معتقد التوحيد وأبواب العقيدة من الولاء والبراء ووجوب عداوة الكفار والمنافقين ، فهؤلاء هم اليوم من أشر الخلق في مخالفتهم للحق في ذلك .

كذلك وهمه رحمه الله وغيره بحملهم دلالة خبر الطائفة المنصورة وبقائها على معاوية ومن معه ضد علي ومن معه على ما ذكر قبل ، فانقلب عليهم بذلك الأمر وبات ابن تيمية رحمه الله تعالى بعلمه الراجح وقوته المميزة مترنحا بين ذلك لا يهتدي لسبيل الحق ، بل يغلو ويقول الشطط .

(3) إذ أنهم في الضلال ويحسبون أنهم مهتدون فمذاهبهم حائرة في ذلك ما بين التعطيل والتشبيه ! .

وكل ذلك من الاضطراب الشديد في هذا الأصل لوهمهم المتوارث حتمية بقاء الطائفة المنصورة .

وهذا يعد عندي والذي مر ذكره قريبا في حسباهم أنهم أهل الحديث ، من أنكر الأقوال ولا أدل على بطلان إطلاقه خطأهم كلهم في تعيين من تكون الطائفة المنصورة ، وليس صحيحا أن قولهم في ذلك هو عين ما يريد المصطفى ﷺ في أخبار الطائفة المنصورة وهذا بخصوص تعيين الطائفة المنصورة ، فما بالكم بسوى ذلك من القول الباطل ؟.

مثل قول ابن تيمية ومن قلده أن أهل الشام كانوا هم الطائفة المنصورة الفرقة الناجية [4] ، ولا يحمل هذا عليهم إلا غافل وإلا للزم من ذلك تضليل علي ومن معه والحكم عليهم بالهلاك ، ولن ينجو من شر ذلك الخلاف إلا معاوية وأهل الشام كونهم هم الطائفة المنصورة ، ويتبعهم بالهلاك كل من لم يكن من أهل الحديث على مر الأزمان من عهد الصحابة بعد التنازع ليومنا هذا !! ، فكلها باتت فرق وأحزاب ، وهذا لا يقوله عاقل بعد تصور شناعته .

(4) راجع كتاب وجوب الاعتزال (165/2) وانظر ترجيحي هناك من تكون الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

الفصــل الخامس

من ترجيحات ابن تيمية الباطلة على أصل قوله في تعيين الطائفة المنصورة

قوله بدوام العلم مع دوام وجود الطائفة المنصورة وأنه لا يقبض إلا بعد أن تقبض الريح أرواح المؤمنين آخر الزمان ، وفي هذا ما فيه من الخلط والاضطراب ومخالفة مقتضيات بعض الأخبار ، وسيأتي التنبيه على ذلك في سياق هذا الفصل .

وقد رام رحمه الله تعالى التوفيق قدر الإمكان بين كل ذلك لكنه لم يوفق لفساد الأصل الذي اعتمده وهو قوله ببقاء الطائفة أبدا إلى أن تقبض أرواح المؤمنين ، ما يلزم منه عنده وعند غيره بقاء العلم ببقاء الطائفة المنصورة ولذا قالوا بقبضه بعد الريح ، ومن قوله في ذلك : وأَما قوله صَلَّى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّمَ : (إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ) .. هُوَ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الأُمَّةَ لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضلالة ولا تَرْتَدُّ جَمِيعُهَا بَلْ لا بُدَّ أن يُبْقِيَ اللَّهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ هُوَ ظَاهِرٌ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ! ، فَإِذَا مَاتَ كُلُّ مُؤْمِنٍ فَقَدْ جَاءَتْ السَّاعَةُ .
وَهَذَا كَمَا فِي حَدِيثِ الْعِلْمِ : (إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ . فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً

فَسُئِلُوا فَأَفتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) . وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ فِي الصِّحَاحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ : يَسْرِي عَلَى الْقُرْآنِ فَلا يَبْقَى فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ آيَةٌ وَلا فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ . وَهَذَا يُنَاقِضُ هَذَا . قِيلَ : لَيْسَ كَذَلِكَ . فَإِنَّ قَبْضَ الْعِلْمِ لَيْسَ قَبْضَ الْقُرْآنِ بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الآخَرِ : (هَذَا أَوَانٌ يُقْبَضُ الْعِلْمُ . فَقَالَ بَعْضُ الأنصارِ : وَكَيْفَ يُقْبَضُ وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ وَأَقْرَأْنَاهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْك أُمُّك إنْ كُنْت لأحْسِبُك لَمِنْ أَفقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ لَيْسَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ؟ فَمَاذَا يُغْنِي عَنْهُمْ ؟) . فَتَبَيَّنَ أَنَّ مُجَرَّدَ بَقَاءِ حِفْظِ الْكِتَابِ لا يُوجِبُ هَذَا الْعِلْمَ لا سِيَّمَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَقْرَؤُهُ الْمُنَافِقُ وَالْمُؤْمِنُ وَيَقْرَؤُهُ الأمِّيُّ الَّذِي لا يَعْلَمُ الْكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ .

فَإِذَا قَبَضَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ بَقِيَ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِلا عِلْمٍ فَيَسْرِي عَلَيْهِ مِنْ الْمَصَاحِفِ والصُّدُورِ اهـ .

قلت : هذا منه صريح في أن العلم لا يقبض بقبض العلماء إلا بعد الريح !

بعد قبض أرواح جميع المؤمنين ، وهو قول غير صحيح وترجيح باطل مبني على ما قلت تأصيلهم أن الطائفة باقية ما بقي مؤمنين ، وبقبض أرواحهم يقبض العلم ، والنبي ﷺ هنا قال بقبض العلماء ولم يقل بقبض المؤمنين العلماء ، والفرق هنا لا يخفى على مثله لو ما غفلته في هذا الباب والتزامه على أصله

وهو فاسد بقاء الطائفة ما بقي مؤمن ، وبقاء الطائفة يلزم منه عنده بقاء العلماء !

وكما أن المؤمن لا يلزم أن يكون عالما ، كذلك الرؤوس الجهال لا يلزم من وجودهم عدم وجود مؤمن أو عالم ، بل قد يكون وجودهم مع وجود العلماء العاملين والمؤمنين المخلصين ، لكن لكثرة الجهل ولقلة التقوى في الناس اتخذ الناس مثل هؤلاء واتخذهم الطواغيت أعوان على باطلهم لنفاقهم ، وبهذا صاروا رؤوسا للناس ومرجعا في طلب العلم ، فضلوا لذلك وابتعدوا عن طريق الحق ، ولا يعني ذلك بالضرورة انعدام وجود عالم في الدنيا على الإطلاق ، بل الناس تجنب العلماء واتخذوا الجهلة بعد أن ظنوهم علماء مرجعا بإنزالهم المنزلة التي ليست لهم ، وهم بالفعل اليوم السبب الرئيسي لضلال العامة دون خاصة المؤمنين ، فالمؤمنين مازالوا يتجنبون هؤلاء ولا يثقون بهم في دين الله تعالى .

كذلك المؤمنون قد يستضعفون ولا ينفي عجزهم إيمانهم ، كما لا يلزم من وجودهم ظهورهم على غيرهم ، لكن لما اعتمد ابن تيمية وغيره أصلا فاسد في هذه المباحث ، وتقولوا على غيب الله تعالى في دوام بقاء الطائفة قوية ظاهرة ، واشترطوا بقاء العلم ودوام الظهور بدوام الطائفة ووجود المؤمنين ، للوازم باطلة لا يقتضيها على الوجوب بقاء المؤمنين أو العارفين العالمين بدين الله تعالى ، لما بينته من أن المؤمن ليس لزاما أن يكون عالما ، كما أن عجزه لا ينفي إيمانه ولا وجوده ، كما أن العالم الذي لا يسمع له ويطاع بالحق لا يعني هذا انتفاء علمه وانعدام وجوده ، وكذلك وجود الرؤوس الجهال لا ينفي وجود المؤمنين والعلماء

، إنما يثبت الجهل على من اتخذه الناس رأسا في زمان الفتن والهرج ، ما يؤكد قبض العلم بقبض العمل به لامتناع الناس عنه ، وقد افادت بعض روايات البخاري هذا المعنى وورد فيها بدلا من قوله بـ :
(قبض العلم) . قال بـ : (قبض العمل) .

وعليه يصح القول بوجود المؤمنين مع قبض العلم وانتفاء ظهورهم ، وكل ذلك سيكون حاصلا والريح بعد لم تقبض أرواحهم ! ، لوقوع الفتن وانتشار الباطل واعراض الناس عن الاستماع لأهل الحق وبدلا من ذلك انقيادهم لأهل النفاق المتشبهين بالعلماء فيحسبون بالفعل علماء فيضلوا بسبب ذلك عامة الناس ضلالا بعيدا لاتخاذهم هؤلاء رؤوسا يقودونهم للهاوية بدلا من مفازة النجاة ، ومن ثم يعقب ذلك تمكين المؤمنين ونصرتهم وقد وردت الأخبار بأن المهدي يعقب أمره كثرة الجهل والفتن والهرج ، وبعده يكون أمر المسيح عليه السلام ، ثم تأتي الريح أخيرا مؤذنة بقرب النهاية بقبض أرواح المؤمنين حتى لا يبقى إلا شرار الخلق ، ثم يسرى على المصاحف ويرفع القرآن ، وبعد ذلك تكون النهاية الأبدية .

وعلى هذا ائتلاف الأدلة وجماعة الأخبار ، وليس ورائه إلا التناقض والتقول على غيب الله تعالى بالكذب والجهل ، كترجيحهم لحزب معاوية على من مع علي رضي الله تعالى عنه أن المنتصر كانوا هم الطائفة المنصورة ، وكذبوا ورب الكعبة وضلالهم باعتقاد ذلك ترتب على ضلالهم في تعيين الطائفة المنصورة ،

وكان بنفسي الاطالة بتفنيد ذلك ومن أجله تم تأخير اعلان هذا الكتاب رسميا ، لكن ترجح لي الاعراض عن ذلك فخير الكلام ما قل ودل .

الخاتمـــــة

هذا وفي الختام أحمد الله تعالى أن يسر لنا قول كلمة الحق والعلم في متأخري أهل الجهل والضلالات ، ودفع ببياننا ما التبس من أمر الدين على الناس ما أمكننا ذلك غير هيابين ولا وجلين ، غايتنا نصرة الدين ودفع تلبيسات المبطلين عنه ، صابرين على ذلك ولو اشتدت الغربة وعظمت في المخالفين المحاربة لكثرتهم لا كثرهم الله تعالى ولا بارك في سعيهم ، فهم ألد أعداء الدين وأطغى في المبتدعين ، أعماهم الجهل والكبر واستحكمت فيهم الأهواء وتنازعتهم الشهوات ، أحبوا المال حبا جما ، حتى بات الرجل يبيع دينه بثمن عنز ، وكل ما لاح له بائع وأومأ له بدنانيره باع من ذلك البقية ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى ، فأنَّى لمثل هؤلاء التسليم للحق وقبول صريح العلم والحجة .